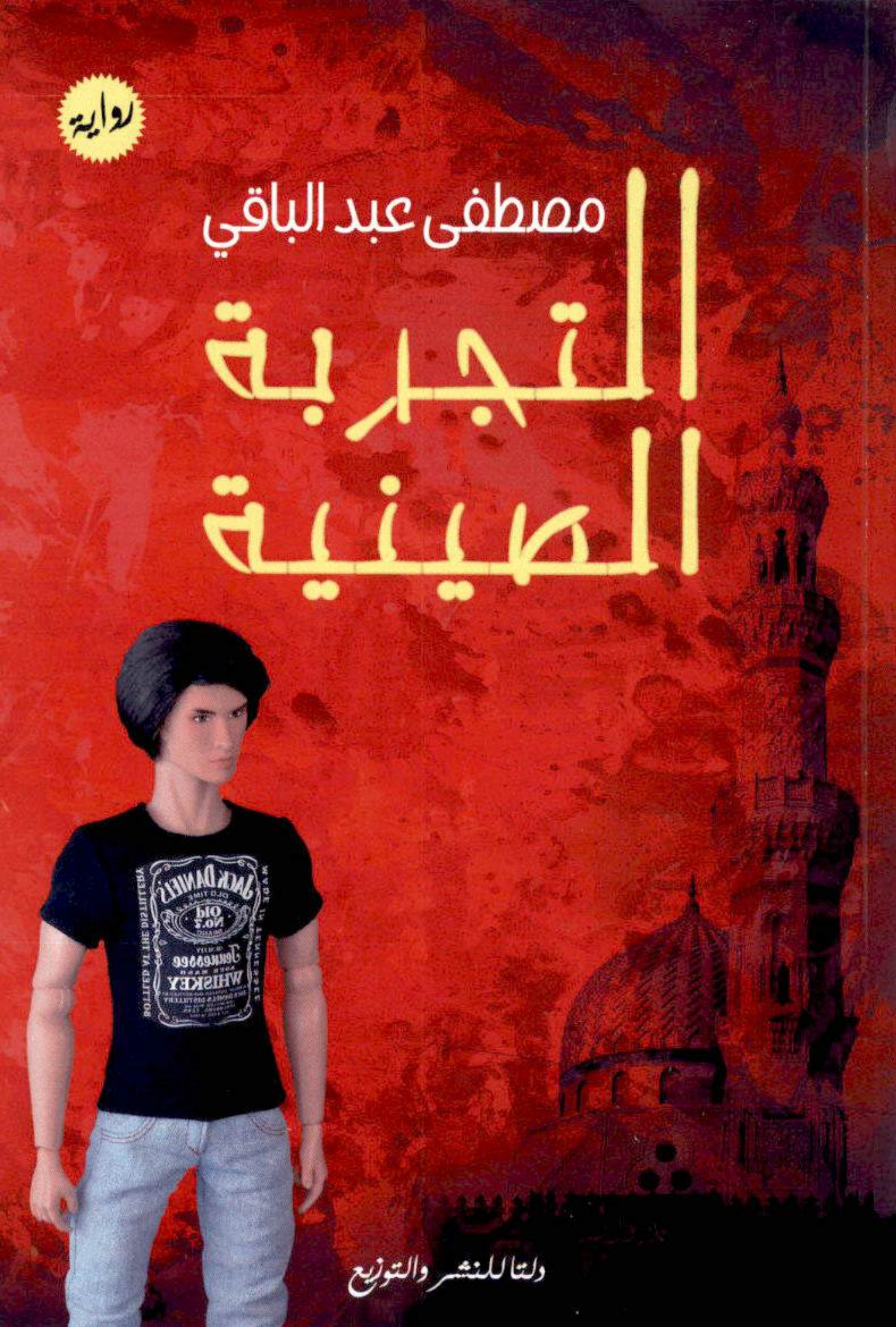

رواية
مصطفى عبد الباقي
التجربة الصينية
دلتا للنشر والتوزيع

التجربة الصينية

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية

دار دلتا للنشر



الطبعة الاولى
الكتاب : التجربة الصينية
المؤلف : مصطفى عبد الباقي
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم الغلاف : إسلام الشماع
رقم الإيداع : ٢١٣٥٣ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي : ٨ - ٤٢ - ٦٦٠٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨

العنوان : ١ شارع ابن مروان - أمام مجلس الدولة الدقي
التليفون : 02/ 37483557
email : delta4books@gmail.com

مصطفى عبد الباقي

التجربة الصينية

رواية

دلتا للنشر والتوزيع

أهداء

الى والديَّ رحمهما الله

والى أسرتى وأقاربي وأصدقائى

لهم منى كل الحب والتقدير والاحترام

صـــــلاح



أحس أن دوره بات غير مرغوب فيه، فآثر أن يرحل بهدوء، ويجنب صاحب العمل الإحراج، فأبناؤه كبروا، وغدا يعتمد عليهم في الإدارة..

في طريقه إلى مسكنه بعدما ودع أصحاب العمل، متمنيا لهم التوفيق، أشار إلى سيارة لتقله.. لم يكن يعنيه أين يجلس، كما أن الزحام داخل العلبة المتهالكة لا يؤرقه.. الضباب يهبط تدريجيا مبكرا على غير عادته وآوانه.. نشطت الذكريات محاذية لسير السيارة في استقامة الشوارع وإعوجاجها.. صورة صالة الجيم تتأرجح بين عينيه.. أجواء المكان.. دوي الأجهزة الرياضية وترديد المتمرنين؛ تشجيعا لبعضهم البعض (عاش ... عاش ... عاش).. مازال وقعها عالقا بأذنيه.. ذكريات الماضي الذي قضاه بين جنباتها، والتدريبات التي كان يجريها لراغبي تقوية عضلاتهم، ومحبي لعبة كمال الأجسام مازالت تلقي بظلالها عليه.. مواظبته وجده الحثيث خلال ثلاثة أعوام مر بها داخل أروقة نادي الشمس، حيث توجد صالة النشاط الرياضي، جعلوا له صدرا بارزا، ومنكبين عريضين، وذراعين قويتين من فرط امتلاء عضلاتهما.. عيناه الواسعتان السوداوان يشع منهما بريق مرعب -إذا تطلب الأمر ذلك- ترهب من يتعرض له ولكن مع الذين يعرفونه تجعلهم يضحكونفهذا هو مزاح صلاح المعتاد،

وهـم يشـهدون لـه بحسـن السـجية وسـماحة الطبـع ونقـاء السريـرة وصفائهـا مـن أي ضغينـة تشـوهها.

***

انضـم صـلاح إلى فريـق الكشـافة فـور التحاقـه بالجامعـة، فهـو مـن محبـي العمـل الكشـفي منـذ صغـره، وكان قـد تـدرج بمراحـل البراعـم، فالأشـبال، فالطلائـع. وخبراتـه هـذه جعلتهـم يسندون إليـه دور أمـين المعسـكرات والرحـلات.

أعجـب بـه زميلـه رامـي وهـو يشـاهده ينصـب الخيـام ويـدق الشـماسي بالمعسـكر الدائـم لفـرق الكشـافة بجمصـة.. قوامـه الممشـوق بـدون انحنـاء وتكـور عضـلات يـده، مـع دماثـة أخلاقـه ورقـة معاملاتـه، كل ذلـك زكاه لـدى والـده البطـل العالمـى السـابق في لعبـة كـمال الأجسـام والمشرف عـلى صالـة الجيـم بنـادي الشـمس؛ ممـا جعلـه يوافـق عـلى مشـاركتهم العمـل.

حـب صـلاح للعمـل الكشـفي، وتعلقـه بـه يرجـع إلى منتصـف ربيعـه الرابـع، وهـو يشـاهد والـده يرسـم أرض بيتهـم بالجـير؛ ليحـدد قواعـد البيـت، ويـراه وهـو يصمـم معالمه مـن مسـاحة غرفة الاسـتقبال ومـكان المنـور المطـل عليـه المطبـخ والحـمام وبـير السـلم وغرفـة النـوم المحجوبـة عـن النظـر، فقـد كان والـده يصحبـه معـه كلـما هـم فى بنـاء شيء جديـد في بيتهـم الكائـن بمنطقـة الفلاحـة بضاحيـة المـرج؛ والـذى أكسـبه خلالهـا مهـارات فى أعـمال خشـب المسـلح، حيـث كان يشـارك الحرفيـين العمـل مثـل مناولتهـم قطـع الخشـب الصغـيرة لسـد الفتحـات بـين الألـواح المتراصـة لسـقف بيتهـم.. أحـب فيـه معلـم نجـارة التسـليح صلادتـه وصلابتـه في معاونتـه في دق العـروق الحاملـة لخشـب سـقف البيـت حتـى إنـه اقـترح عـلى والـده أن ينضـم إلى فريـق

عملهـم.

بعـد اكتـمال الـدور الأول مـن البيـت، غـادرت أسرة صـلاح حـي الزاويـة لمسـكنهم الجديـد.. تضايـق صـلاح كثـيرا مـن جيـوش الناموس المغـير عليهـم مـن حـوض القصـب المجاور لحـوض عبـد الله رفاعـي.

***

في البدايـة عانـوا كثـيرا مـن نـزح مراحيـض الميـاه المبنيـة بالجهـود الذاتيـة وعـدم اسـتواء الشـوارع؛ مما جعـل سـيارات الأجـرة في بعض الأوقـات تحجـم عـن الذهـاب إلى منطقـة الفلاحـة.

حـزن والـد صـلاح لضيـاع فرصـة شراء قطعـة أرض مطلـة عـلى شـارع الترعـة السـلطوحية، والتـي كانـت في حينهـا لم تـردم بعـد، إلا أن رائحـة اتسـاخ مياههـا والحـشرات النافقـة منهـا ونقيـق الضفـادع ونبـاح الـكلاب الضالـة الشرسـة كانـت قـد صرفـت نظـره عنهـا، ولكـن اليـوم غـدا شـارع الترعـة السـلطوحية الشـارع الرئيـسي بالمنطقـة، وبـات للبيـوت المطلـة عليـه شـأن، فالمحـل يؤجـر ويبـاع بمبلـغ وقـدره، مـع مـرور الأيـام قطـار شـبين القناطـر تحـول إلى مـترو للأنفـاق، والـذي أحيـا المنطقـة، نقطـة الشرطـة صـارت قسـما نموذجيـا، وأنشـئ مجمـع للمـدارس بجوارهاونـزوح أهـالي الصعيـد للمنطقـة أكسـبها روح حيـاة وألفةحتـى إن هنـاك شـوارع تسـمى عـلى أسـماء بـلاد نازحيهـا مثـل شـارع قنـا وشـارع أخميمبخـلاف لافتـات المحـلات، كافيـه أبنـاء سـوهاج، ومخبـز مصطفـى الفيومـي وعطـارة أسـوان ومقلـة العتامنـة.

وصـار البيـت علامـة ودليـلا للـمارة بشـارع الجامـع ومحلاتـه تـم تأجيرهـا، كـما كان يتوقـع والـده، وشـقة صـلاح فـوق شـقة العائلـة

ولأخته مديحة شقة أيضا فوق شقته، فوالده لا يبغي التفرقة بين ابنه وابنته، وأوصى صلاح في نهاية حياته بألا تطأ البيت قدم غريبة.

كل ما فعله والده لم يقتنع به صلاح، فتطلعاته فاقت منطقة المرج، وسقف طموحاته تعدى ذلك بكثير فطيلة حياته يتقرب من ميسوري الحال، ويتملق أبناء العائلات الكبيرة. فما من أحد يرتدي زيا فخما إلا وأعجب به ولفت انتباهه، فيروح يتقصى أخباره، ويتودد إليه، وأثناء دراسته الجامعية صاحب أبناء علية القوم، ظنا منه أنهم سيعاونونه في إيجاد فرصة عمل حكومي في شركات البترول أو مصلحة الضرائب أو شركة الكهرباء، يحيا من خلالها حياة كريمة، إلا أن عشمه لم يكن في محله، فالكثيرون ممن تملقهم وتودد إليهم وأحيانا أجذل لهم في أعياد ميلادهم، تملصوا من وعودهم معه.

وهو في صالة النشاط الرياضي تعرف على فتاة سبق أن رآها بالكلية، لم تكن بالفاتنة ولم تُؤثر قلبه بشيء يذكر إلا أنها كانت متواضعة، حادثته وهي على جهاز المشي بأن والدها يمتلك مصنعا للشيكولاته باستراليا بخلاف أرصدته البنكية.. ما أن سمع ذلك حتى لاح أمام عينيه السيارة الفارهة والشقة الأنيقة والحياة الكريمة التي ينعم فيها بالرخاء وراحة البال.. فراح ينسج خيوطه لاصطيادها، ويوهمها بأنه من أسرة عريقة من أرقى عائلات الزيتونوأنه يعمل مع صاحبه رامي لإضاعة الوقت وقتل الوحدة، فالوحدة لها أضرار بالغة في مرحلته العمرية هذه.

عندما اعترف لها بحبه، ضحكت ضحكة صفراء وشت عن احتقارها له، وقالت له إنه ليس بالممثل البارع ولا المحتال الماهر؛

وتعجبت منه، وقالت له بحنق إن والدها رجل عصامى، بنى نفسه بنفسه، وإلى الآن يعترف بأنه فى صغره كان يبيع أسطوانات الغاز المنزلية لأهل حيه، ويفتخر بأنه سليل عائلة متواضعة.. الفقر ليس بعيب ولكن كل العيب في أن يتبرأ الإنسان منه، وإنه لو صارحها بالحقيقة لفكرت فيه، ولولا طيبتها ورأفتها على أسرته لفضحته، وأبلغت إدارة النادى وطُرد شر طردة.

أشفق عليه زميله عمر من فرط إلحاحه عليه وترجيه بأن يبحث له عن وظيفة مرموقةوأخبره بأن والده يريد مقابلته في أمر مهم وعليه ارتداء أفخم ملابسه.

وكان صلاح قد عرف آنفاً بأن والد زميله عمر يعمل مديرا لفرع أحد البنوك العالمية بالقاهرةوعندما سأل عمر، هل الأمر يتعلق بالعمل في البنك؟ أومأ قائلاً نعم بالفعل، لم تذق عيناه النوم طيلة الليل.. ظل الفكر يتخطفه بين النعاس والاستيقاظ من فرط تلهفه.

***

قابله والد زميله في مكتبه في البنك ببشاشة، فرح صلاح من أعماق قلبه، وهو يرى المكتب الفخم، والأثاث الراقي والمقاعد الوثيرة والديكور الرائع، تلمس له العذر بأن معظم شباب اليوم يرغب بالعمل بالبنوك بغية الراتب العالي والتعامل مع نوعية راقية من المجتمع من أصحاب الأعمال ذوي الودائع البنكية عالية القيمة.. الشاب في هذه الأيام مثل القنبلة الموقوتة قابلة للانفجار في أي وقت، إن لم يجد عملا يشغل وقته ويتكسب منه.. الفراغ يجعل الشاب يحس أنه شخص ناقص بلا قيمة، يُزين له الشيطان الانحراف فيتعاطى المخدرات أو يتاجر بها.

صمـت قليـلاً، ثـم قـال لصـلاح بعـد أن أخـذ رشـفة مـن فنجـان القهـوة.. الحيـاة الآن تـداول منافـع وصفقـات متبادلـة، تأخـذ شـيئا في مقابـل أن تعطـي شـيئا.. ثـم صمـت قليـلاً وأردف قائـلاً: أو تتنـازل عـن شيء.. رئيـس مجلـس الإدارة لـه بنـت تعمـل مصرفيـة في ذات البنـك، وهـي ممـن ابتلاهـم ربهـم ببعـض الحبـوب تمـلأ وجههـا.. هـذه الحبـوب مـع الوقـت سـتزول.. لا تنزعـج مـن هـذا فهـي سـتجري عمليـة تجميـل، سـتقضي عـلى هـذه المشـكلة نهائيـا.. هـذه الفتـاة تدعـى «سـها»، نرشـحها لـك وأنـت مـع الأيـام، وبعـد أن تتعـرف بهـا سـتحبها وتدعـو لنـا.

***

فتـح درج مكتبـه وأخـرج نموذجـا للتعيـين وأردف يقـول: امـلأ البيانـات الفارغـة، وسـيملأ الله حياتـك بالبهجـة والسـعادة.

لم يصـدق صـلاح نفسـه، وطفـرت دمـوع الفـرح مـن عينيـه، وهـو يـدون نمـوذج التعيـين، حتـى إن هنـاك دمعـة تركـت أثـر بلـل عـلى النمـوذج.

قـال لـه عمـر وهـو خـارج مـن المكتـب؛ إن والـده عينـه منـذ أسـبوع في نفـس الفـرع، الـذي يشـتغل بـه ضمـن أبنـاء العاملـين التـى تمثـل بابـا خلفيـا للتعيـين، ولـولا هـذه الثغـرة مـا كان لـه أن يلتحـق بهـذه الوظيفـة، فالعمـل فى البنـوك فى هـذا الوقـت فى غايـة الصعوبـة، وأخفـى هـذا خوفـا مـن الحسـد، وأن عـلى صـلاح ارتـداء نفـس هـذا الـزي الأنيـق بعـد غسـله وكيـه، والميعـاد في مثـل هـذا اليـوم مـن الأسـبوع المقبـل إلا أن الوقـت سـيكون مـع سـاعة الغسـق.

***

اسـتقبلهم رئيـس مجلـس إدارة البنـك بترحـاب شـديد وصافـح

صـلاح بحـرارة حتـى إنـه قبـض عـلى راحـة يـده وهـو يلـج فيلتـه الكائنـة بمدينـة الرحـاب.

دهـش صـلاح أبلـغ دهشـة، وهـو يـرى أمامـه بهـو الصالـون مكتظا عـن آخـره بوجهـاء المجتمـع.. أخـو العروسـة طيـاروزوج أختهـا مستشـار قانـوني لإحـدى الـشركات العالميـة بدبيوأخوهـا الصغـير ضابـط بأمـن الدولـة بخـلاف جيرانهـا والمحبـين لعائلاتهـا.. قدمـت العـروس حاملـة صينيـة عليهـا أكـواب لامعـة مصبـوب فيهـا عصـير البرتقـال.. تضايـق صـلاح مـن أول طلـة لهـا.. اسـترق النظـر لهـا وهي بجـواره، فهـي مصابـة بمـرض البهـاق، الـذي يغطـي معظـم ملامـح وجههـا الـذى كسـاه بشـاعة مـا بعدهـا بشـاعة.. زاد عـلى ذلـك أنـه تـرك بقعـا عـلى يدهـا.. تمالـك صـلاح نفسـه واصطنـع الابتسـامة، وقابـل ضحكاتهـم بضحـكات آلمتـه في داخلـه، هـو لم يكـن يتوقـع أن تكـون عـلى هـذه الهيئـة.. الـكل انـصرف وتركوهمـا بمفردهمـا.. هـي إنسـانة مثقفـة وطيبـة وخلوقـة، وهـذا واضـح مـن حديثهـا وإشـاراتها وملابسـها.. انتهـت خلوتهـا واجتمعـوا مـرة أخـرى.. قابلهـم صـلاح بابتسـامة مصطنعـة تعـصر أحشـاءه.

***

وأمـام بـاب الفيلـلا، وصديقـه يفتـح البـاب، ووالـده يديـر محـرك السـيارة، ويشـير لـه بالجلـوس بجـواره هـذه المـرة؛ اعتـذر لهـم صـلاح قائـلاً: بأنـه كان يتوقعهـا أن تكـون مثـل الآنسـة حنفـي للفنـان إسـماعيل يـس، وتوقـع أيضـاً أن يراهـا عـلى غـرار شـبه الفنانـة عائشـة الكيـلاني إلا أنـه لم يتوقـع أبـداً بـأن تكـون عـلى مثـل هـذه الحالـة.. تأسـف لهـم فهـو يخـاف العـدوى مـن هـذا المـرض.. نظـر إليـه صديقه شـذرا.. وخـرج والـده مـن السـيارة ونظـر إليـه حانقـا وأزاحـه مـن

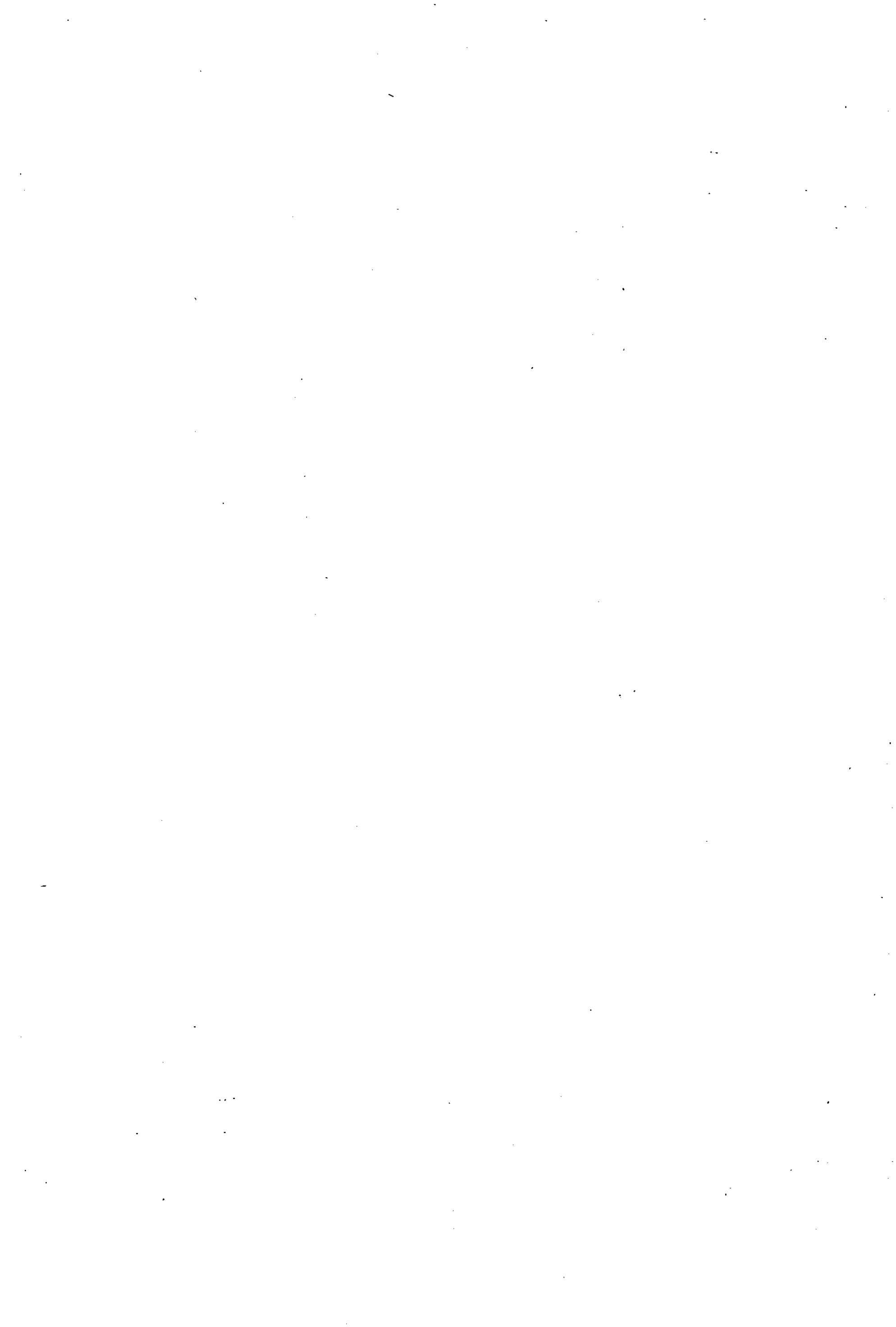
أمامـه.. ركلـه عـلى مؤخرتـه حتـى إنـه وقـع عـلى الأرض مـن شـدة وطـأة الركلةوهـو واقـع عـلى الأرض قـال لـه والـد زميلـه بأنـه ليس مخلوقـا للنعمـةوأن أمثالـه مـن الحثالـة، كالصراصير يعيشـون عمرهـم بـين بلاعـات المجـاري.

لم يتمالـك صـلاح نفسـه وراح في نشـيج حـار مـن الدمـوع، وهو يرى والـده يـوارى الثـرى.. اغتـم وهـو يعلـم رقـم معـاش المرحـوم والـده الضئيـل، والـذي لا يتعـدى ثلاثـة أضعـاف كيلـو لحمةثـم تذكـر بيتهـم.. وتسـاءل مـاذا كان حالهـم لـو أنهـم يسـكنون بالإيجـار؟.. فترحـم عـلى والـده ودعـا لـه بالمغفـرة.

استيقظ صـلاح مـن دوران ذكرياتـه عـلى وقـع صـوت صراخ وحالة هـرج ومـرج تفـزع المارين أمامـه.. لـص يرهـب المارةويوقـف إحـدى البائعـات الصينيـات، مشـهرا مطـواة قـرن غـزال في وجههـا، ويرغمهـا عـلى إعطائـه حقيبـة الهواتـف وحافظـة نقودهـا.. انتابـت صـلاح نخـوة، عـادة مـا تأتيـه في مثـل هـذه المواقـف هـب مسرعـا صـوب اللـص للقبـض عليـه، مكيـلاً لـه الـركلات واللكـمات واللطـمات عـلى رأسـه ووجهـه؛ مما جعلـه يرجـع خائفـا، ويفـر مـن أمامـه.

كل مـن كان في الشـارع أعجـب بـه.. أصحـاب المحـلات منهـم مـن قـدم لـه أكـواب عصـير وعلـب كنـز لمياه غازيـة.. أثنـوا عـلى رجولتـه وشـهامته.. البائعـة الصينيـة أعـادت فحـص بضاعتهـا ثـم شـكرته، وأهدتـه هاتفـا محمـولاً جربتـه أمامـه وشـغلته عـلى نغمـة (رجالـة وطـول عمـر ولادك يـا بلدنـا رجالـة)، ضحـك صـلاح مـن أعـماق نفسـه، وهـو يـرى البهجـة عـلى وجـه البائعـة الصينيـة.

مديحة



عـاد صـلاح إلى مسـكنه متأخـرا.. كانـت أختـه مديحـة قـد أعـدت لـه العشـاء وغطتـه بـورق جرائـد، ووضعتـه عـلى منضـدة بالصالـة.. لقيـمات صغـيرة تناولهـا عـلى عجـل، ثـم دفـن نفسـه تحـت الغطـاء واستسـلم للنـوم.. فتحـت مديحـة بـاب الشـقة بهـدوء واطمأنـت عليـه.. خمنـت بأنـه يشـعر بالضيـق مـن أمـر مافالطعـام كـما هـو، وهـذه عادتـه بـأن يقلـل مـن تنـاول الطعـام عندمـا يغضـب مـن شيء مـا.

***

لكـم حـزن صـلاح ممـا جـرى لأختـه مديحـة، فكيـف يحـدث ذلـك وهـي التـى زيجتهـا تمـت بعـد قصـة حـب بينهـا، وبـين عبـد الهـادي.. كانـت مديحـة وزميلاتهـا بمدرسـة التجـارة يسـتأجرن سـيارة لتوصيلهـن إلى المدرسـة.. عربـات الأجـرة بموقـف الفلاحـة عبـارة عـن عربـة نصـف نقـل أجـرة، ممـا ينقـل عليهـا الخضـار والفاكهـة والبهائـم.. لوحـان مـن الخشـب عـلى جانبيهـا يـرص عـلى كل جانـب سـتة ركاب بواقـع اثنـى عـشر راكبـا فى حـوش العربةأمـا الكابينـة فيفضـل السـائقون بـأن تكـون أنثـى حسـناء أو طالبـة جميلـة، فغالبيتهـم مـن الشـباب المراهقـين.

مديحـة وزميلاتهـا اتفقـن عـلى أنـه مـن تركـب كابينـة السـيارة بجـوار السـائق تكـون ممـن لديهـا الـدورة الشـهريةأو مـن تحـس بوجـع في جسـدها ولا تقـدر عـلى تحمـل ارتطـام السـيارة بالمطبـات؛ لأن الشـوارع غـير مرصوفـة، والأهـالي تنشـئ مطبـات مـن تلقـاء

أنفسهم خوفا على أطفالهم من طيش وتهور السائقين.

جاء دور مديحة بالجلوس بكابينة سيارة الأجرة بجوار السائق الشاب عبد الهادي، الذي كان في نهاية عقده الثاني.. أدار عبد الهادي كاسيت السيارة على أغنية إيهاب توفيق (سحراني)، ثم أغلق الكاسيت في منتصف الأغنية.. ضحكت مديحة في سرها، ولم تظهر أي شيء سواء بالتعجب أو الضيق، وإن كانت في نفسها مندمجة ومستمتعة بالأغنية وتضايقت من فعل عبد الهادي، وعندما سألها إن كانت لا تحب إيهاب توفيق، فلا مانع من ناحيته باستبداله بعمرو دياب، نظرت إليه مديحة بحنق، وردت عليه باقتضاب بأن يلزم حدوده وإلا سمع ما يغضبه.

***

وفي اليوم التالي أتى دور صديقتها هدى.. اشتكى لها عبد الهادي مما حصل معه من مديحة وردها الفاتر عليه.. عاتبت هدى مديحة، وقالت لها بأن عبد الهادي إنسان محترم، وما كان لها أن ترد عليه ذلك الرد غير اللائقواسترسلت تقول بأنه ينتسب لعائلة حجاج التي تعد من العائلات العريقة بالمرجوأخواله من عائلة مليك المشهورة أيضا بالمرج والمزين اسمها على أشهر شوارع المرج.

مر الشهر وأتى دور مديحةالتي جلست بجوار عبد الهادي على نفس الهيئة السابقة. هذه المرة اصطنع دور الرزانة والثقلقبل أن تصل السيارة كوبري الأنابيب بشارع محمد نجيب؛ المسمى بذلك لوجود قصر الأميرة زينب الوكيل الذي عاش فيه السيد محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر العربية أثناء فترة تحديد إقامته.. فاجأت مديحة عبد الهادي بسؤالها لماذا لم يدر الكاسيت

هـل بـه عطـل.. ابتهـج غـير أنـه لم يُظهـر شـيئاً، وأدار الكاسـيت عـلى نفـس الأغنيةاسـتمر الـكلام وتكـررت الحـوارات وصـارت أحاديـث طويلـة تخللهـا ضحـكات خجلـة مـن مديحـة ورزينـة مـن عبـد الهـادي.. بعـد ذلـك فهمـت الكثـيرات بـأن في الأمـر شـيئاً، فتنازلـت لهـا بعـض زميلاتهـا عـن أدوارهـن بالركـوب بكابينـة السـيارة.

راقـب عبـد الهـادي مديحـة وهـي راجعـة إلى مسـكنهاوتقصي وتحرى عنهـا وعـن عائلتهـا حتـى إنـه ذهـب إلى حـي الزاويـة الحمـراء جمـع معلومـات عـن صباهـا وطفولتهـا.. الـكل زكّا أخلاقهـا وأثنـى عـلى طيبتهـا، وبالأخـص سـميحة قريبتـه والسـاكنة بالقـرب منهـا، والتـي كانـت بمثابـة طائـر المحبـة الـذي وضـع أول قشـة في عـش الزوجيـة.

أمـا مديحـة أوحـت لصديقتهـا هـدى بـأن تحدثـه في أخـر الليـل، وهـي تفتـح مكـبر صـوت هاتفهـا المحمـول.. نجـح عبـد الهـادي عـلى الفـور في الاختبارعندمـا سـألته هـدى هـل يـود عمـل صداقـة معهـا؛ فكانـت إجابتـه حازمـة بأنـه قفـل الهاتـف في وجههـا، فرحـت مديحـة جـدا مـن جـراء ذلـك.



سرادق الفـرح كان بطـول وعـرض شـارع الترعـة السـلطوحية، بـدءاً مـن تقاطعـه مـع شـارع مكـة، وصـولاً لشـارع كـمال حمـزة، مـرورا بشـارع الجامـع.. سـماعات ومكـبرات الصـوت (DJ) وكشـافات الإنـارة ووصـلات رقـص الراقصـات وغنـاء المطربـين الشـعبيين أضفـت سـعادة وبهجـة في نفـوس أهـل المنطقـة محبـي عبـد الهـادي وأصدقائـه والمعازيـم بخـلاف أقاربـه أتـوا جماعـات.. منهـم مـن قـدم مـن مؤسسـة الـزكاة والبعـض مـن عزبـة النخـل، وآخـرون مـن منشـية أحمـد عصمـت بعـين شمسـبخلاف مـن أتـى مـن الأربعين

وقباء، وأما منطقة عبد الله رفاعي فكان لها نصيب الأسد من المعازيم.

في داخل السرادق تراصت المناضد التي تعلوها زجاجات البيرة والمزة التي كانت عبارة عن ثمرة تفاح وفطيرة كبيرة وقطعة جبن قديمة.. طُرب الحشيش كانت تقطع في الخفاء في أحد بيوت أقاربه ويناول في السر للمعازيم، ليلة جميلة أسمعت المرج وباتت مضرب الأمثال عندما تحكى الأفراح.

أصدقاء عبد الهادي رفعوه وألقوه إلى أعلى أكثر من مرة حتى إن بعض المعازيم ثرثر قائلاً إنهم أنهكوه عن أخره ولم يبق له نفسو سيرتمي كالجثة الهامدة في ليلته هذه.

وهو قابض يد عروسه أعطاه صديقه فهد حبةً من الفياجرا مشهورة بعين الكتكوت، يقولون إن هذا النوع شديد المفعول حتى لو أن أمام أحد الأشخاص قردا سيفتك به.

أصدقاؤه وأقاربه انتظروا أسفل مسكنه، وضبطوا ساعتهم على ميعاد دخوله شقته ريثما يتمكنوا من حساب الوقت المستغرق في فض غشاء بكارة عروسه.

لم يخب عبد الهادي ظنهم فيه، ربع ساعة فقط مزق فيها فستانها وملابسها الداخلية وانقض عليها كالثور الهائج.. صرخت مديحة صرخةً زاعقةً من أعماقها.. فى داخلها ألم بالغ على إثرها علت زغاريد النساء وضج صوت ضرب النار في المنطقة حتى إنه سمع فى جسر السويس على حسب ما قال البعض.

خرج عبد الهادي سعيداً وفرحاً وبقيت مديحة تصرخ بأعلى صوتها، ودخلت أمها وخالتها الغرفة وبيدهم العرض (قطعة قماش)، هالها ما شاهدا أمامها.. سيل الدماء لم يتوقف ونزيفه

يسيل بغزارة.

أحضروا الطبيب الذي دهش مما رأى، وقال لهم بأنه لم يتوقع أن يحدث هذافهو خمن بأن هناك تهتكا في المهبل أو التهاب نتيجة الإيلاج العنيف.. عبد الهادي لم يع شيئا.. خلط الحابل بالنابل، وعليهم الآن نقلها إلى المستشفى لإجراء عملية تخييط ما تم تمزيقه.

وفي غرفة العمليات، وهى فى البنج تنامى إليها صوت مزاح الأطباء وضحكاتهم وهم يجرون لها العملية (عروسة يا عروسة أنا العريس).

بعد تلك الحادثة، أضحى عبد الهادي نموذجا صارخا للفحولة الذكرية ومضربا للأمثال في المنطقة، حتى إنه في مرة سمع بعض زملائه السائقين يمزحون مع بعضهم (روح يا أخي جاك عبد الهادي)، (لو كترت معايا الكلام هندهلك عبد الهادي).

***

بعد عام من الزواج قدم مولودهما السعيد، والذي أسماه عبد الهادي فهد نسبة لصديقه فهدأما المولود الثاني فاسمتها مديحة هدى امتنانا لصديقتها هدى.

حدث لفهد صديق عبد الهادي طامة لم تكن في الحسبانفقد صدم شخصا، أرداه قتيلا، وحكم عليه بالحبس ثلاث سنوات.. اللجنة الفنية التي انتدبتها النيابة من مكتب الخبراء أفادت بتقريرها أن فرامل العربة أفلتت منه، ويرجع ذلك لعيب في صلاحيتها، ولذلك لم يستطع فهد السيطرة على عجلة القيادة.

بعد قضاء ثلثي المدة خرج فهد من محبسه، وكان أهله باعوا

السيارة التي يشتغل عليها ليصرفوا عليه في السجن ولأسرته التي باتت بلا عائل.

عرفانا منه لعشرته معه، ووفاءً لصداقته اقترح عبد الهادي على فهد بأن يعمل وردية على السيارة التي يمتلكها.. من جانبه عبد الهادي لم يتقاض منه شيئا سوى ملء تانك العربة بالبنزين وتغيير كاوتش السيارة.

أغدق فهد على عبد الهادي الأفيون، وقال له بأن هذا مقوٍ جنسيّ طبيعي أفضل من الفياجرا بكثير والتي بها مواد كيماوية ضارة بالصحة.

تبدل حال فهد في السجن، فكان لزاماً عليه مجاراتهم حتى لا يظنوا بأنه أبله يأتون عليه بالزنزانة، ويكون مثل البلياتشو يسخرون منه.. صار فهد شخصا آخر بخلاف ما كان قبل حبسه.

وفي يوم استطلع رأي عبد الهادي في البودرة، وراح يزين له طريق الانحراف حتى وقع في براثن الإدمان.. هي شهقة أعقبتها زفرة من مادة الكوكايين، بعدها صار عبد الهادى مدمنا لها. في أول الأمر رأته مديحة يمشي مترنحا في الشارع يتساقط منه الكلام المبعثر، الذي لا يكون جملة تامة مفيدة، فاعتقدت بأنه كان في فرح أحد أصدقائه وأكثر من الخمر.. إلا أنه ما أن يجيء ميعاد تعاطي الجرعة حتى يهب كالوحش المفترس، طالبا من مديحة نقودا.. سولت له نفسه بأن يسرق ذهبها وباعه في الخفاء، وحين نما إلى علمها أمره طلبت منه الكَف عن هذا، والبعد عن صديق السوء فهد إلا أنه انهال عليها ضربا، في تلك الواقعة سامحه صلاح ووالده إشفاقا منهما على طفليهما ، إلا أن الواقعة تكررت أكثر من مرة..

باع سيارته والكثير من ممتلكاته، وفي يوم أحضر تاجر الروبابكيا لشراء الصالون، وهنا لمت مديحة متعلقاتها وذهبت إلى بيت أبيها.

***

تدهورت حالة عبد الهادي وغدا في وضع غير آدمي يمشي في الشارع كالمتسول الذاهب عقله، لم تجد مديحة بدا من أن ترفع من جانبها قضية خلع، وحكمت لها المحكمة بانفصالها عنه، ومن ذلك الحين وهي تعيش في شقتها التي تعلو شقة صلاح في بيت أبيها، وكأنه كان يتوقع ما سيحدث لها في قادم الأيام.

منی



استيقظ صلاح على استغاثة مديحة له بعدما أحست بسخونة تسري في جسد ابنها فهد.. طيلة الليل وهي تضع الكمادات على جبينه الواحدة تلو الأخرى، ودرجة الحرارة كما هي، وفهد لا يكف عن السعال.

قال طبيب الطوارئ بقسم الاستقبال، بمستشفى الكرمة المطل على شارع محمد نجيب إن هناك ميكروبا في معدته، سبب له اضطرابات في الهضمصاحب ذلك ارتفاع في درجة الحرارة، وكتب لها مطهرا معويا وخافضا للحرارة ومضادا حيويا.

آثر صلاح أن تعود مديحة وفهد إلى منزلها، وهو الذي سيحضر الدواء من صيدلية الدكتور عبد الله، لاسيما أن الوقت متأخر.

لم يكن بالصيدلية سوى نرجس مديرة الصيدلية ومساعدتها منى.. أطالت منى النظر إلى صلاح، واستفسرت منه عن حالة فهد، فعشرة الجيرة تحتم عليها ذلك، وصداقتها لصلاح وقربها من مديحة يلزمها فعل هذا.

تعلق صلاح بمنيفها من مرة رآها من شرفة بيته تمشي، أو بجواره في الشارع تسير، أو مواجهة له بالسيارة إلا وأحس بأن قلبه يتعلق بهاونظره يرنو إليها.. أكثر شيء أحبه فيها جمالها الفتّانفعيناها سوداوان واسعتان يعلوهما حاجب رفيع وأنف صغير وفم ذو شفتين مكتظتين ووجنتان بيضاوان مشربتان بقليل من الحمرة، وجسد ممتلئ، وممشوق دون انحناء.

تمنى صلاح في قرارة نفسه أن تكون له.. لكن كيف له أن يقبل على نفسه بالارتباط بواحدة توفي أبوها في السجن، وهو يقضي فترة عقوبة سرقة بالإكراه.. وزاد الطين بلة أن خالتها هي أيضا الآن محبوسة بسجن النساء بالقناطر تقضي فترة عقوبة ممارسة بغاء ومسجلة في سجلات مباحث الآداب.

***

جمال منى الرائع سبب لها الكثير من المضايقات والمعاكسات، بل تعدى الأمر بأن حدث لها تحرشات.. كانت تتحاشى الركوب في عربات المترو غير المخصصة للسيدات أو تجلس بجوار أي ذكر سواء في المواصلات العامة أو في قاعات المحاضرات أو في دور السينما.. لا تنسى المرة التي كانت تستقل فيها العربة والتصق بها أحد الشباب وراح يحك سمانة رجله بسمانتها بغية إثارتها جنسيا.. إلا أنها من أول وهلة خلعت حذاءها وانهالت به على رأسه.

وفي مرة أخرى انكسر اللوح الخشبي الذي يجلس عليه الناس في العربة، فوقع كل من كان على اللوح، وانتهز أحد الشباب ذلك، فارتمى عليهافأزاحته من عليها بقوة وأمسكت قطعة خشب كانت مركونة على سطح كابينة العربة، وكيلت له الضربات على رأسه حتى انفجرت نافورة من الدماء.

لكم تعرضت منى للمضايقات الكثيرة، وهي في عملها داخل الصيدلية، ذات مرة قال لها أحد البلهاء إنه يريد أن ينام معها.. ومتشرد آخر قال لها إنها أقوى من أي نوع من الفياجرا، فيكفي أن يستحضر صورتها وهو يضاجع زوجته.

كثيرا ما كانت تتغاضى عن تلك المعاكسات بأن توهم الآخر

بأنها لا تسمعه كى لا تحدث مشاجرة داخل الصيدلية.

في مرة ردت على أحد السفلة الذى بادلها الشتائم.. تجمع في داخل الصيدلية الكثير من الأهالي وكثر ضجيجهم.. استرقت منى النظر للدكتور عبد الله؛ فبان على وجهه الضيق والغضب.. انتحى بنرجس جانباً، وأخبرها بأن عليها في أخر الشهر أن تنهي علاقاتها بالصيدلية، استحلفته نرجس بالعزيز الغالي بأن يرأف بحالتها ويبقيها معها.

الذئاب البشرية تعدت منطقة الفلاحة بحي المرج، فقد رأتهم منى واقعاً فعلياً ملموساً أمامها في أماكن أخرى بطريقة أشد تحضراً وتقدماً ورقياً، وهى برفقة والدتها لزيارة خالتها بسجن القناطر، أشارت إليها ساقطة من خلف القضبان تقضى نفس عقوبة خالتها -من وراء ظهر خالتها المنشغلة بالحديث مع والدتها- لساقطة أخرى آتية لزيارتهاتفحصت مفاتنها بعينين ثاقبتين، وغمزت ولمزت لها بالإعجاب.. عرضت المنحلة على منى أن تعمل معهم في مكتبهم للاستثمار العقاري، كاتبة ومدخلة بيانات نظير مبلغ مالي.. قالت لها منى بأنها موافقة وستعرض الأمر على أمها.. وافقت أمها وهى لا تعرف بأن هذه السيدة قوادة، وتأخذ هذا المكتب ستارا لعملياتها النجسة بمشاركة زميلها القواد تامر كانت منى في ربيعها الخامس عشر ومفاتنها قد وضحت.

وهى منهمكة فى كتابة أشياء فارغة المضمون داخل المكتب استرعى نظرها بأن الشقة المواجهة للشقة الكائن بها المكتب يرتادها ناس كثيرون، مصطحبين فتيات ليل.

طمع فيها تامر لنفسه وحاول ملامستها، إلا أنها أزاحت يده

بقـوة عنهـا ونهرتـه وعنفتـه.. اعتـذر لهـا متعلـلاً بأنـه مـا كان يقصـد مـا تظنـه، وأنها ملامسـة أخويـة لا أكثـر مـن ذلـك.. قالـت لـه بأنهـا قبلـت اعتـذاره، ولا يكـرر ذلـك مـرة أخـرى، ورسـمت عـلى شـفتيها ابتسـامة صفـراء.. وعـاودت تقـول بأنهـا سـتذهب للحـمام لمسـح وجههـا مـن الدموعـوفى داخلـه اتصلـت بأحـد جيرانهـا المشـهود لـه بالاحـترام والتقديـر، والـذى أعطاهـا رقـم شرطـة النجـدة، والتـي أتـت في غضـون نصـف سـاعة.. قصـت منـى عـلى الضابـط والقـوة المرافقـة لـه مـا حـدث لهـا ومـا رأتـه بعينيهـا داخـل هـذا المـكان الوضيعوعـلى الفـور قبضـوا عـلى القـوادة وصديقهـا تامـر.

***

كل مـا كانـت تتقاضـاه منـى مـن عملهـا بالصيدليـة كان يذهـب لأناقتهـا مـن شراء أدوات المكيـاج، وشـنط اليـد والملابـس المواكبـة للموضـة، وهـذا جعـل الكثيريـن يتوهمـون بأنهـا سـليلة أسرة راقيـة وعريقـة ممتـدة أصولهـا إلى جـذور عريقـة في المجتمـع. وزكّا ذلـك أيضـاً طريقتهـا في الـكلام وتهذبهـا وقـوة شـخصيتها المبهـرة أغـرى الكثـير مـن زملائهـا بالجامعـة أن يفتتنـوا بهـا.. زميلهـا هانـى خادعهـا بأنـه يحبهـا ويبغـى مقابلتهـا عـلى انفـراد، وحتـى تـرضى وعدهـا بهديـة ثمينةوكذلـك فعـل زميلهـا وليـد غـير أنـه وعدهـا بـأن يصحبهـا لمحـلات وسـط البلـد لـشراء بلوفـر أنيقأمـا زميلهـا هـادى لم يعدهـا بـشيء سـوى الـزواج والحيـاة الكريمـة بشـقته بمـصر الجديـدة.. أومـأت لهـم بالموافقـة للقائهـم، وقالـت لهـم -كل عـلى حـدة- بـأن الميعـاد يـوم الثلاثـاء في السـاعة الخامسـة أمـام كازينـو النيـل.

وفى الميعـاد ذهبـت منـى واختبـأت خلـف شـجرة، وأتـى الواحـد تلـو الآخـر، وتوزعـوا أمـام كازينـو النيـل دون أن يلاحـظ الأخـر

زميليه.. نظرت إليهم منى بازدراء ولسان حالها يقول: هي زعقة واحدة من أمهاتهم تجعلهم يطرقون رءوسهم صاغرين وخاضعين.. وضحكت في سرها وهى تتخيلهم ناظرين إلى الأرض وخائفين من أمهاتهم، والعرق يتفصد من وجوههم.

وقفت منى في وسط الطريق حتى يروها جميعا، وأشارت إليهم، فهبوا متكالبين عليها.. بأعلى صوتها ريثما يسمعها الجميع صاحت فيهم: يا حقراء يا سفلاء أتقبلوا ذلك لأخواتكم.. المال يصنع الجبناء من أمثالكم.. الثلاثة انصرفوا على الفور من أمامها خائفين وممتعضين وحمرة الخجل تكسو وجوههم.

الوحيد الذي راود بالها بأن يكون شريكاً لها في حياتها الزوجية، ابن منطقتها وجارها صلاح.. لم تمانع أبداً بأن تسلم له يدها، وهو يدعوها لمصافحته، ولم ترفض بأن تلبي دعوته باحتساء العصير بكافيه الجامعة المواجه لمحطة مترو منشية الصدر.. وتغاضت هذه المرة عن الركوب في عربة السيدات، وصعدت بجواره، والذي انتهز هذه المرة تدافع الركاب بأن يضمها إليه حتى يظفر بملامستها.

في مرة غافلها وقبلها قبلة سريعة في جبينها.. تضايقت منى وقالت له ما هذا الذي فعلته.. تأسف لها صلاح وهي قبلت اعتذاره على مضض.. طلبت منه بألا يفعل ذلك مرة ثانية.

تقدم لخطبتها أحد أقاربها غير متعلم، ويعمل سباكاً.. وافقت أمها وأخواها إلا أن منى رفضته، فهى لن تقبل أي شخص غير مناسب لها.

حزنت أمها لرفضها، وقالت لها (ضل راجل ولا ضل حيطة)

سـوف تندمـين عـلى ذلـك.. قـررت منـى بـأن تؤثـر عـدم الـزواج عـلى أن تتـزوج مـن شـخص لا تحبـه ولا تقتنـع بـه، فهـى أجمـل الجميـلات ولا ينقصهـا شيء عـن مثيلاتهـا.

نرجس



لم يبق بصيدلية الدكتور عبد الله سوى نرجس، والتي انهمكت تراجع حسابات اليوم وترتب فواتير الشراء والبيع وتحصي نقود أخر اليوم.. أوكل الدكتور عبد الله لنرجس كافة صلاحياته بالصيدلية، باختيار المساعدين لها، والتعامل مع شركات الأدوية ومندوبى التوزيع، وتأكيدا منه لثقته فيها، فوضها بموجب توكيل رسمي حرر في الشهر العقاري لتصبح نرجس الممثل القانوني لصيدلية الدكتور عبدالله.. فالدكتور عبد الله هو أيضاً ابن خالتها، والتي طالما ما حلمت به نرجس شريكاً لحياتها؛ لما رأت به من أخلاق دمثة وذوق ورقة ووقار.

التحقت نرجس بكلية الصيدلة مع أن مجموعها في حينها هذا كان يؤهلها ويرشحها لكلية الطب البشري؛ حباً وتعلقاً بالدكتور عبد الله.

حزنت نرجس لما نما إلى علمها خطوبته من زميلة له بالجامعة.. ذهبت له وعبرت عن غضبها من خطوبته.. نظر إليها ابن خالتها إشفاقاً.. وصرح لها بأنه يحبها ولكن حب أخوي.. حزن نرجس لم يطل كثيراً، فهي لم تتوقع بأن يكون لها، وكانت في نهاية حلمها دائماً ما يتكدر صفوه، وينتهي بخاتمة مأساوية.. أنفها المفلطح الكبير، وفمها المنتفخ، وحواجبها الغليظة التي تشبه حواجب الرجال والبثور التي تملأ وجهها، كل هذا كان يضرب حلمها في مقتل ويبيده قبل أن يخرج إلى الحياة.. في صغرها كانوا يلقبونها بالغوريلا التي تشبه الأشباح.. وأندادها كانوا يخافون منها، فهي كالعفريت في عالمه المخيف.. المربية في الحضانة كانت تجلسها بمفردها حتى لا يبكي الأطفال عندما يروها، في وقتها

هـذا لم تكـن تحـس بالحـزن مـن جـراء ذلـك إلا أنهـا تجرعتـه حتـى الثمالـة في حاضرهـا اليـوم.

تجنبـت نرجـس حفـلات الخطوبـة والـزواج وأعيـاد الميـلاد.. أقرانها كـن يتسـابقن في الاسـتعراض بجمالهـن ومفاتنهـن وهـي لا تملـك شيئاً تضاهـي بـه سـوى عينيهـا العسـليتين، والتـي صـارت كعينـي بئـر في وسـط صحـراء شاسـعة مترامية الأطـراف.. لم تجـد نرجـس بـداً مـن أن تكـرس حياتهـا لمذاكرتهـا وحفـظ دروسـها.

أكثـر شيء كرهتـه نرجـس هـو إشـفاق النـاس عليهـا.. تتضايـق لـو شـعرت بمجاملـة إحـدى عماتهـا مادحـة جمالهـا، أو أن خالتهـا أثنـت عـلى جمـال وجههـا.. رضيـت بحالهـا، وقنعـت بـأن الـزواج مـن رجـل إشـفاقاً عليهـا أمـر غـير مقبولفالـذي يأخـذ بسيف الحيـاء حـرام.

ولكـم تمنـت بطفـل يعبـث بأحشـائها.. وكـم بكـت في لياليهـا تحسـراً منهـا عـلى فقـدان إحساسـها بالأمومـة.. الأطفـال هـم نقطـة الضعـف في حياتهـا.. مـا أن تـرى طفـلاً متأبطـاً ذراع أمـه حتـى ترنـو إليـه وتداعبـه وتخـرج لـه (الملبِّس) مـن كيـس الحلـوى التـي تضعـه بجـوار خزينـة النقـود.

***

وذات مـرة أتـى الدكتـور عبـد الله برفقـة زوجتـه وطفلهـما الـذي أخذتـه نرجـس عـلى الفـور وداعبتـه وقبلتـه وأعطتـه المصاصـة.. ضحـك الطفـل.. وسـعدت نرجـس مـن أعماقهـا، فكثـيراً مـا حلمـت بهـذا الطفـل ابنـاً لهـا.. انزعجـت زوجـة الدكتـور عبـد الله وأخذتـه منهـا بالقـوة؛ خوفـاً مـن الحسـد، حتـى إن الطفـل بكـى مـن وطـأة شـدة سـحبه منهـا.. حزنـت نرجـس كثـيراً ولم تعاتبهـا أو تلومهـا بيـد أن زوجهـا وافقهـا ضمنيـاً عـلى ذلكبـأن غـض بـصره واهمـاً بأنـه لا

يـرى شـيئاً.

انـزوت نرجـس بنفسـها عـن هـذا العالم البشـع بقسـوته.. وكرسـت حياتهـا في حيـز الصيدليـة.. فباتـت تعـرف أماكـن الأدويـة عـن ظهـر قلبفقـد ابتكـرت طريقـة في تنظيـم الأدويـة بالصيدليـة بخـلاف مـا هـو سـائر في جميـع الصيدلياتبـأن تقسـم الـدواء عـلى حسـب حروفـه الأبجديةمـع مراعـاة مادتـه الفعالـة ودواعـي اسـتعمالهوإن كان حبوبـا أو أدويـة أو حقنـا أو كريـمات أو عطـورا أو منشـطات، هـذا الإبـداع في التنظيـم هـي فقـط التـي تعرفـه،ـ وإن كانـت مسـاعدتها منـى مـع الوقـت فطنـت للقليـل منـه.

مـن كثـرة مـا كان النـاس يرونهـا بالصيدليـة قالـوا بأنهـا صيدليـة الدكتـورة نرجسـوباتت تعرفهـم مـن وجوههـم، فالشـخص الآتي يعـاني مـن فـيروس سي، وأمـا هـذا المريـض القـادم عنـده السـكر مـن النـوع الأول وقـادم لـشراء الأنسـولين.

تـم هـدم البيـت المجـاور لبيتهـم وأكـوام الرديـم والزلـط سـدت الشـارع عـن آخـره؛ لهـذا سـلكت نرجـس الشـارع المـوازي لشـارعهم والمنعطـف لشـارع كـمال شـلبي، ومنـه إلى شـارع الترعـة السـلطوحية، حيـث توجـد صيدليـة الدكتـور عبـد الله.. هـذا الشـارع غالبيـة قاطنيـه مـن مرتـادي السـجون وبائعـي المخـدرات والأشـياء المسروقـة وبالأخـص التكاتـك.. مـا إن رأى صبيـة هـذا الشـارع نرجـس حتـى تجمهـروا حولهـا وراحـوا يزفونهـا ويرمونهـا بالطـوب ويقولـون: (جدتنـا الغولـة أم عيـون حولـة).. الزفـة كانـت بطـول وعـرض الشـارع.. نسـاء ذلـك الشـارع المنحـط نظـرن مـن شرفاتهـن يتضاحكـن.. والرجـال خرجـوا أمـام بيوتهـم يصفقـون.. الزفـة كانت تفـزع المـارة والذيـن يبـدون علامـات الاسـتنكار عـلى وجوههـم..

كانت نرجس تجري والألم يعتصرها اعتصاراً.. وبطنها تستعر كأنما صُب عليها خليط من النحاس والرصاص المصهور.. فقول في سرها وتنهيدها يدمي لسانها (تعايرونني على شيء لا ناقة لي فيه ولا جمل).

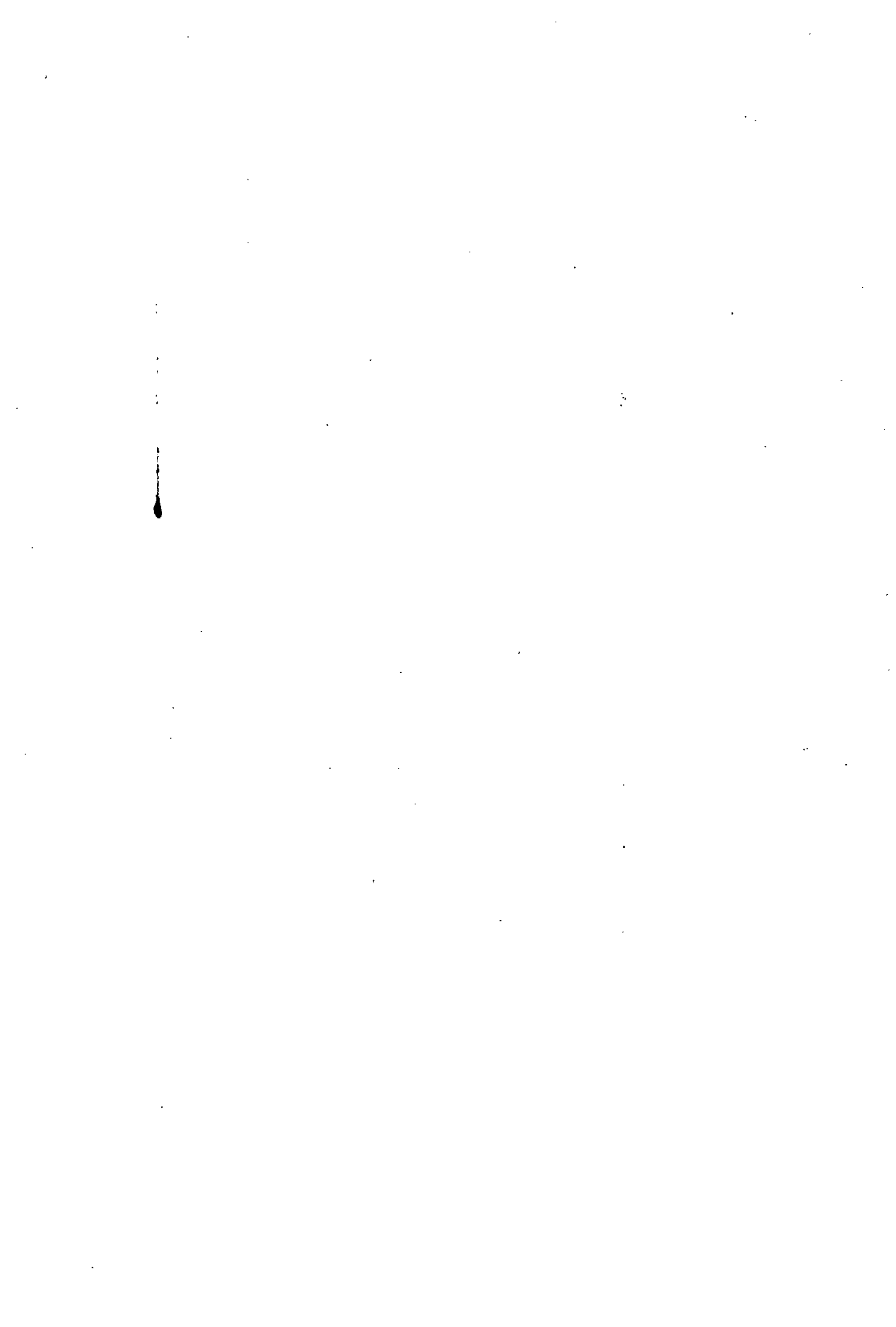
في ليل هذا اليوم تجمع أفراد عائلة عويس فور علمهم بما جرى لبنتهم نرجس.. منهم من قدم من الشيخ منصور، ومنهم من أتى من الخصوص، أما الغالبية أتت من عزبة النخل.. زحفوا وعددهم يزخم به الشارع، والغضب يملأ صدورهم والشرر يسطع في عيونهم، مدججين بالعصي والشوم والأسلحة الحادة والخرطوش والمولوتوف.. أحرقوا عشرة بيوت، أحدثوا تلفيات في بعض المباني وحطموا أكثر من سيارة ثم أرغموا عائلتين من هذا الشارع بالرحيل قصراً عن هذه المنطقة.

***

حزنت نرجس كثيراً قضتا أسبوعاً بأكمله لم تخرج من غرفتها حتى غدت هيكلا عظميا من كثرة رفضها للطعام أتى لها الدكتور عبد الله والذي رجع خطوتين للخلف عندما رآها. هاله منظرها وجسدها حتى إنه لم يستطع البقاء بجوارها.

زارتهم خالتها فوقية، وقالت لأمها بأنها هي التي ستخرجها من حالتها هذه، واقترحت عليها بأن تصحبها إلى بيتها بحي عين شمس لتغيير المكان، الذي ما زال يذكرها بهذه الحادثة المريرة، فوافقت أمها ووافقت نرجس على مضض.

السيدة زينب



اقترحت خالتها فوقية عليها بأن تصحبها معها لزيارة ضريح السيدة زينب. مرت الأيام وأتي يوم الخميس ذهبت خالتها لتشهد الحضرة الجليلة التي يشرف عليها الشيخ عطا الله.

جلست نرجس في كنف الضريح في الجزء المخصص لزيارات السيدات.. المكان مزدحم عن آخره وصوت الشيخ عطاالله الجهوري يصدح في المكان.. باتت فوقية تحفظ الوُرِد من فرط حضورها للحضرة.. الوُرد يحوي التسابيح والتحميد والتكبير والتمجيد وبعض الآيات القرآنية وسورة يس وتبارك والإخلاص المعوذتين وأبيات شعرية تحض على البعد عن مُلهيات هذه الدنيا الحقيرة الفانية، وتُؤثِر الزهد والتصوف والفناء في الذات الإلهية.

بَهجة روح نرجس والعبق الروحاني يفوح من المكان وينفث في أنفها فتحس بسعادة بالغة.. أصوات الذاكرين وأنفاسهم العطرة وقلوبهم المطمئنة لذكر الله أشعرتها بالدفء والحنان.

ثقافة نرجس بآل البيت، وبالأخص السيدة زينب كانت محدودة.. المرة الوحيدة التي ذهبت فيها إلى زيارة الإمام الحسين، عنفها أحد أقاربها السلفيين، وقال لها بأن هذه أمور بدعية وإشراك بالله.. استدعى اهتمامها كتيب صغير معنون بنبذة عن عقيلة بني هاشم.. الكتيب يحوي بعض الوريقات الصغيرة.. التقطتها نرجس من على أحد الأدراج بشغف وفضول وراحت تقرأ بنهم.

عرفت نرجس بأنها هي المشيرة الطاهرة الحسيبة النسيبة سيدتنا زينب رضي الله عنها، ابنة بنت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهي من أجلِّ آل البيت حبا وأعلاهم نسبا، خيرة السيدات الطاهرات -رضي الله عنها- هي زوجة لابن عمها عبد الله الجواد بني جعفر الملقب (قطب السخاء)، لما عرف عنه من السخاء والكرم ونبل الطباع.

حيث ولدت عقيلة بني هاشم رضي الله عنها في الخامس من جمادي الأول في السنة الخامسة من الهجرة، بينما هناك قول يذهب أصحابه إلى أنها ولدت -رضي الله عنها- في اليوم الثالث من رمضان في السنة السادسة من الهجرة النبوية.

حملت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- وليدتها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- تسأله أن يختار للطاهرة المباركة اسماً، فأبى أن يسبق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في تسميتها، وكان غائباً يوم ذاك، ثم عاد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة فحملت الزهراء وليدتها إلى أشرف الكائنات، وخاتم الرسل -صلى الله عليه وسلم- وقال: ما كنت لأسبق ربي تعالى، فهبط جبريل عليه السلام يقرؤه السلام من رب السلام، ويقول له سمي هذه المولودة «زينب»، فقد اختار الله لها هذا الاسمثم أخبره بما جرى عليها من المصائبفبكى -صلى الله عليه وسلم- وقال: كمن بكى على مصائب هذه البنت، كما بكى على مصائب أخويها الحسن والحسين.

لقبت السيدة -رضي الله عنها- بألقاب عديدة، وقد كان من أشهرها أم هاشم، حيث تكفلت برعاية سيدات بني هاشم أثناء وبعد حادثة كربلاء، التي استشهد فيها شقيقها الإمام الحسين

-رضي الله عنـه- وكـما لقبـت (أم الشـهداء)، حيـث إنهـا شـهدت قتـل أبيهـا الإمـام عـلي وشـقيقها الإمـام الحسـن -رضي الله عنـه- الـذي استشـهد مسـموماً عـلى يـد زوجتـه (جعـدة بنـت الأشـعس) التـي كانـت تعمـل لحسـاب يزيـد بنـي معاويةوشـهدت بنفسـها استشـهاد أخيهـا الإمـام الحسـين في أرض كربـلاء عـلى يـد يزيـد بـن معاويـةورأت أولادهـا يتسـاقطون واحـداً بعـد الآخـر بجـوار شـقيقها الإمـام الحسـين -رضي الله عنـه- كـما لقبـت بـ (عقيلـة بنـي هاشـم) وبـ (صاحبـة الشـورى) وبـ (رئيسـة الديـوان)، حيـث كانـت محـل ثقـة بنـي هاشـم وموضـع تقديرهموكانـوا جميعـاً يرجعـون إليهـا في كل أمورهمويسـألونها النصحفتسـدي إليهـم النصيحـة وتمنحهـم الـرأي السليموتشـير عليهـم بـما هـو أنفـع لهـم في دنياهـم وآخرتهـم.

أحـس يزيـد بخطـورة وجـود عقيلـة بنـي هاشـم بمدينـة الرسـول- عليـه الصـلاة والسـلام- فأمـر بترحيلهـا إلى بلـد آخـر تختـاره بعيـداً عـن الحرمـين الشريفـين.. بعـد رحلـة جهـاد طويلـة، تختـار السـيدة زينـب -رضي الله عنهـا- مـصر الكنانـة محطـاً لرحالهـا وآل بيتهـا.

عـلى أبـواب مـصر تبـدأ رحلتهـا الأبديـة برعايتهـا لأهـل مـصر قالـت: (آويتمونـا يـا أهـل مـصر آواكـم الله)، وقـد وافـق وصـول السـيدة الطاهـرة بـزوغ هـلال شـعبان سـنة إحـدى وسـتين هجريـاً.

وفي مـصر أقامـت عقيلـة بنـي هاشـم -رضي الله عنهـا- في دار مَسـلمة ابـن مخلـد الأنصـاري، والي مـصر؛ لكـن فاجعـة كربـلاء ومقتـل أخيهـا الإمـام الحسـين وبنيهـا وآل بيتهـا لم تغـب عنهـا لحظـة مـن اللحظـات، ولم تُـر ضاحكـة بعـد ذلـك اليـوم الأليـم.

ظلـت السـيدة زينـب -رضي الله عنهـا- محطـاً لرحـال القاصديـن يسـألونها فتفيدهـم في أمـور دينهـم ودنياهمـاإلى أن وافتهـا المنيـة بعـد

سنة أقامتها في مصر، وذلك في غضون سنة ٦٢ هـ على أرجح الأقوال.

ومن الكرامات الربانية لعقيلة بني هاشم أنها سُئِلت عن سبب اختيارها مصر فأجابت قائلة: (كي أكون وأنا في برزخي في شرف استقبال رأس أخي الحسين حين قدومها إلى مصر).

***

سكنت روح نرجس واطمأنت وهدأت، وهي ترى أمامها أناساً يأتون من كل حدب وصوب؛ راجين بركة أهل البيت ومحبة السيدة الطاهرة.

عادت نرجس وخالتها مسرورين ،وفضلت أن تبيت بجوار خالتها على سطح بيتها بيد أن قيظ أغسطس لا تقدر على تحمل لهيب حرارته.. فرشت فوقية مرقدهاحصير بلاستيك، يعلوه مرتبة إسفنجية تغطيها بطانية.

ارتمت نرجس وفردت جسدها مستلقية على ظهرها، وجلست خالتها متوركة بجوارها.. استمتعت نرجس بلفحات الهواء البارد الذي أنعش جسدها.

نظرت خالتها إلى السماء المتلألئة بالنجوم الساطعة والقمر المنير الوهاج، وأشارت إلى نجم من النجوم وقالت: هذا نجمك يا نرجس، نجمك وردي اللون، نجمك معطاء ونقي، واراه يخرج من مجراه، ويذهب إلى مجرى آخر؛ ليقدم باقات من الزهور والورود إلى نجوم أخرى، ثم ما يلبث أن يعود إلى مجراه الطبيعي.. نجمك جميل مثلك يا نرجس .

نظرت إليها نرجس بتعجب وسألتها:

- أحقاً أنا جميلة يا خالتي.

- أنت أجمل ما رأيت في حياتي..

ارتخت أعصاب نرجس وهدأت نفسها، وخمدت أعضاؤها وتثاءبت فغلبها النعاس.. النجم الذي أشارت إليه خالتها ما يلبث إلى أن يتحول بقعة نور، وتغدو البقعة طاقة وضاءة هائلة.. طاقة النور تكبر فتكبر، فينبثق منها ضوء يفصح عن وجه يزهو، فيحجب السماء وتختفي خلفه الخليقة، جميلة الجميلات وأم الصابرين وعقيلة بني هاشم تقول لها بابتسامة حانية ودودة : «اصبري يا نرجس».



الشيخ عطا الله



بشرة السيدة الطاهرة وارتياحها بمسجدها، وطيب مشاعر مريدينها، ناهيك عن فرحتها وإحساسها بالسعادة في حضرتهم جعلها تعتاد الذهاب إلى مسجد السيدة زينب بمفردهاوآثرت أن يكون يوم الخميس يوم زيارتها، ريثما تأنس بالحضرة.

في أول زيارة لها لاحظت كثرة الأطفال المرافقين لأمهاتهم، فكان لازما عليها أن تفرحهم بتقديم الهدايا، في أول الأمر تأبطت نرجس كيسا صغيرا مليئا بالعسلية والنوجة والملبس والمصاصة.. الكيس نفد عن أخره، مما جعلها تستبدله بكيس كبير، يجهزه صاحب إحدى محلات الحلوى المجاور لمقام السيدة الطاهرة، والذي تعرّف عليها وصادقها، أما في أيام المولد يغدو الكيس جِوالاً، وفي الليلة الختامية لمولد السيدة زينب يصير الجوال خمسة أجولة.

ذاع صيت نرجس وباتت رمزا ودليلا لحضرة يوم الخميس.. أول ما يراها الأطفال يحيطونها مبتهجين بقدومها.. وهي على الفور توزع عليهم الحلوى. شاهدها أحد الزائرين الأوربيين، فشبهها ببابا نويل، وقال: إنها بابا نويل السيدة زينب.

تقدم السن بخالتها فوقية، وإصابتها بمرض السكر، الذي نتيجته أصيبت بالقدم السكرى، وغدت غير قادرة على الحركة.. في أخر زيارة لها لحضرة السيدة زينب قدمتها للشيخ عطا الله وعرفته بها، هامسة في أذنه بأنها بطيبتها وبفطرتها إلى الآن، وحكت له قصتها ورجته بأن يهتم بها ويكتنفها بمحبته.

قال لها الشيخ عطا الله: إن دمامة وجهها أمر كتبه الله

عليهاوالواجب أن ترضى وتسلم بما كتبه الله وتفوض أمرها للهفإن فعلت اطمأنت وسكنت نفسها.. استعاذ الشيخ من الشيطان الرجيم ورتل عليها «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ». واسترسل الشَيخ يقول: ولتعلمي أن الله قدر ذلك لحكمة، وأن عدم توفيقك للزواج ليس نهاية الحياةوليست السعادة محصورة في هذه الحال، بل السعادة لها أسباب كثيرة نفسية ومعنوية إذا حصلت سعدت بها ومن أعظمها الإيمان والعمل الصالح، وقال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

نصحها الشيخ عطاالله أن تشغل وقتها بالأعمال الناجحة والبرامج المفيدة؛ مما يعود عليها بصلاح دينها ودنياهاوأنه يبقى عليها أن تحسن التوكل على الله وأن تعتمد عليه حق الاعتمادوتحسن الظن بربهاوتلجأ إليه في كشف همها وتنفيس كربها في الصلاة والدعاء والذكر وحفظ الجوارح، فإن أعظم شيء يسعد النفس ويدخل على قلبها السرور بذل الجهد في سبيل إسعاد الآخرين من المحرومين والفقراء والمساكين والأيتام واللقطاء؛ فإن قلب المرء يسعد وينشرح إذا رأى الفرحة في وجوه الآخرين.

***

في حضرة أم العواجز، تآلفت روح نرجس مع روح طبيبة الأسنان، نوال بنت الشيخ عطا الله، وتحابا في الله، وتصادقا وصارا كأنهما يعرفان بعضا من زمن طويل؛ مما جعل نوال تزكيها عند الشيخ ليعطيها العهد الذي غدا رباطاً مقدساً.

توافق الاثنان واتفقا بينهما بأن تتعهد له نرجس بأن تعترف

لـه بـما جـرى لهـا خـلال غيابهـا عنـه، وأن تـداوم عـلى قـراءة الـوِرد صباحـاً ومسـاءً كل يـوم، وأن يكـون الـوِرد بمثابـة المـاء الـذي يـروي ظمـأ الريقـوأن تكـون أخلاقهـا في استقامة طـول الطريقـودوام الذكـر بمثابـة لـوح الخشـب الـذي ينقـذ الغريـق، وعاهدهـا الشـيخ بـأن يكـون لهـا خـير صديقـوأن يكـون لهـا مثـلاً لوفـاء الرفيقـوأن يقـف معهـا في الفـرح والضيـق، وتصافحـا وقـرآ العهـد المصداقودعـوا الله بـأن يلهمهـما الحـب والوفاقويبعـد عنهـما الكـذب والنفـاق.

وذات مـرة قـال لهـا الشـيخ عطـا الله إنهـم بصدد إنشـاء مقابـر صدقة للفقـراء تكـون متاحـة لـكل موتـى المسـلمينوعلى فورهـا تصدقـت نرجس بمبلـغ قيـم مـن المـال، ورجـت شـيخها بـأن لا يفصـح لأحـد عـن قيمـة المبلـغ، ولا عـن مـن تبرعـت بهرنـت النظر إليـه، ثـم انحنت تقبـل يـده، وقالـت لـه بأنـه تحبـه والإنسـان يحـشر مـع مـن يحـب يـوم القيامـة، وتـود حفـر قـبر لهـا يكـون بجـوار قـبره.. ضحـك الشـيخ وضمهـا إليـه، وقـال بنـبرة أبويـة: يـا نرجـس أنـت داومـت عـلى الفرائـض وواظبـت عـلى الطاعـات، وأكثـرت مـن النوافـل؛ فغـدوت وليـة صالحـة فـكادت أن تطـير مـن الفـرح لبـشرة شـيخها.

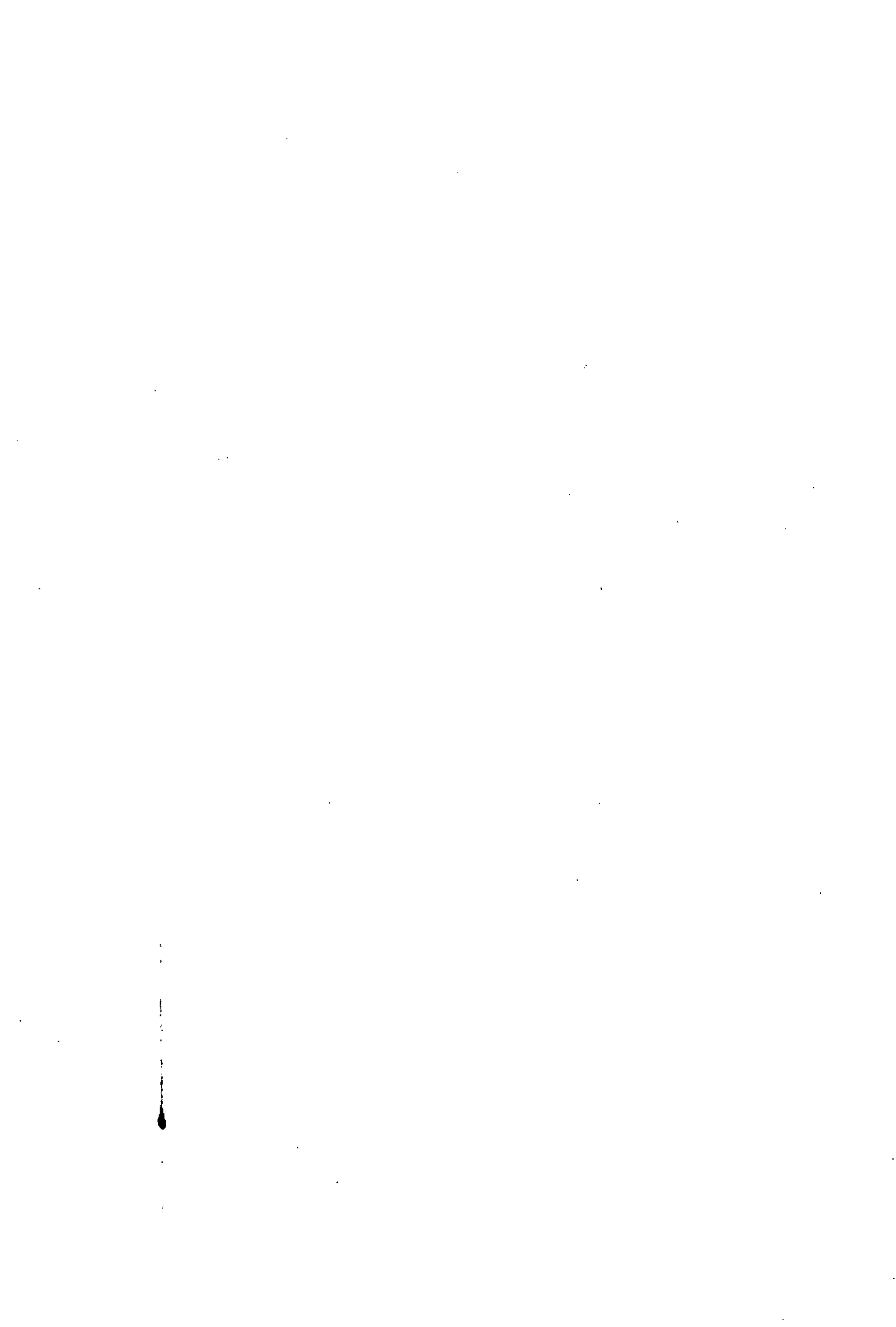
مشـيا معـا وسـط شـواهد قبـور أوليـاء الله الصالحـين وأحـواش المقابـر بمدافـن الغفـير بالدراسـة.. وقفـا أمـام إحـدى مقابر أوليـاء الله الصالحـين.. ألقـى الشـيخ السـلام قائلا: سـلام عليكـم أنتم السـابقون، ونحـن بكـم إن شـاء الله لاحقون، وأشـار إليهـا بالدخـول أولاً، فأبت نرجـس ذلـك، فالمـوت عليهـا أهـون مـن أن تسـبقه وتتقـدم عليهـاأصرّ الشـيخ على ذلـك لأمـر في نفسـه!.

في داخـل حـوش المقـبرة أشـار إلى أكثـر مـن شـاهد مكتـوب عليـه اسـم الـولى الصالـح الخـاص بهـذا القـبر، وقـال بـأن هـذا الـولى القرآن

كان في صـدره مثـل سـيل المـاء، وأشـار إلى شـاهد قـبر والى آخـر، وقال بأنـه رأى بعينيـه هـذه كرمـات لهـذا الـولي، لـو حكـى لهـا لـن تصدقها، ولمـس شـاهداً آخـر، وقـال بـأن هـذا الـولي كان ينام عـلى حصـير مـن العدبـا مـع أنـه يمتلـك في بلـده أطيانـا زراعيـة، وقطعـان الأغنـام والمواشـي.. وسـالت مـن عينيـه دمعـة، وهـو يقـف أمـام شـاهد آخـر، قائـلاً لهـا بـأن هـذا قـبر شـيخي ومعلمـي، والـذى تكفـل برعايتـي، وحفظـت القـرآن عـلى يـده، والـذى أورثنـي مبـادئ وقيـم وأوصانـي بـألا أحيـد عنهـا، وهـذا قـبر يأنـس بقـبره، وقـال لهـا بـأن هـذا قـبرك يـا نرجـس، هيـا احفريـه بيـدك حتـى يكـون شـاهدا عليـك.. نظـرت إليـه برهـة مـن الوقـت، ثـم اسـتجمعت قوتهـا، وقامـت تحفـر قبرهـا بيدهـا بنهـم وسرور.

سـألها الشـيخ بـما تحـس وهـي في حضرتـه؟.. فأجابتـه أنهـا تشـعر بـأن طائـراً خرافيـاً تخطفهـا وجذبهـا إليهوهـي راكبـة عـلى جناحيـه العظيمـين يحلـق بهـا في فضـاء الكـون الفسـيحبينما هـي تنظـر إلى تحتهـا، فـلا تجـد شـيئاً يلفـت انتباههـا؛ فتؤثـر البقـاء في كنـف الطائـر، وفي غمـرة الفضـاء يلقيهـا الطائـر؛ فتسـبح فيـه وحيـدة، فيصـر لهـا جناحـان يُشـبهان أجنحـة الملائكـة بهـما تحلـق إلى عـالم لا نهايـة لـه وإلى أبديـة مطلقـة، تهفـو فيـه نفسـها وقلبهـا يخفـق مبتهجـاً فرحـاً لصفائـه مـن الضغائـن ونبضاتـه تنـزع روحهـا انتزاعـاً مبرحـاً إلى عـالم خـالٍ مـن شـهوات دنيويـة حقـيرة.

ليني شاي



رن هاتف صلاح على رقم غير مدون اسم صاحبه على شريحة هاتفه المحمول، فإذا به صوت أنثوي متهدج بلكنة غريبة ينطق الحروف بصعوبة، رد عليه صلاح مندهشاً:

- من أنت؟

- أنا «ليني شاي» البائعة الصينية التي كنت تدافع عنها منذ يومين أمام محطة مترو المرج.

لم تطل دهشة صلاح كثيراً حتى أدرك بأن البائعة الصينية احتفظت برقم هاتفه، وهي تجرب له الموبايل.. عاودت تقول «ليني شاي» بعدما طال صمت صلاح:-

- ماذا بك هل تسمعني؟

- نعم، نعم أنا أسمعك؟ تفضلي قولي ماذا تطلبين؟

- أنا أريد أن أراك في أمر ما.

لبى صلاح طلبها على استحياء وكان ميعاده معها أمام محطة مترو عزبة النخل.. رحبت به «ليني شاي»، ودخلت في الموضوع على الفور.

في الآونة الأخيرة كثرت مضايقة البلطجية والمسجلين خطر لها، ولزملائها البائعين الصينيين من فرض إتاوات عليهم أو سرقة بالإكراه؛ لهذا قرروا أن يستعينوا بأشخاص أقوياء مفتولي العضلات، يكونوا قادرين على حمايتهم، وممن يشهد لهم بالأمانة وحسن الخلق.

***

«ليني شاي» تريد صلاحَ حارساً لها ولو تطلب الأمر حراسة أحد زملائها فلا مانع من ذلك.

يـا لـه مـن موقـف محـرج؛ أيقبـل صـلاح عـلى نفسـه أن يكـون بـودي جـارد لبائعـة صينيـة، يلازمهـا طـوال الوقـت؛ حمايـة لهـا وواقفاً خلفهـا مثـل الخفـير، الـذى يقـف خلـف حـضرة العمـدة فى الأفـلام القديمـة، معرضـاً نفسـه لاستهزاء النـاس.. ضحـك فى نفسـه سـاخرا مـن طموحاتـه وشـطحاتها بـأن يكـون رئيـس حسـابات، أو مديـرا ماليـا أو مالـكا لمكتـب محاسـبة ومراجعـة.. سـال لعـاب صـلاح، وهـو يـرى أمامـه «ليـني شـاي» تخـرج حافظـة نقودهـا، وتقـدم لـه شـيئاً مـن عربـون الصداقـة، كجـزءٍ مـن راتبـه مدفـوعٍ مقدمـاً.

تذكـر احتياجـه للـمال ومصاريفـه عـلى المقهـى مـن الشـاي والدخانوتذكـر والـده وهـو يقـول لـه (الأيـد البطالـة نجسـة)، و(الخشـا في الرجـال يجيـب الفقـر).. خـاف مـن عواقـب بطالتـه وفـراغ وقتهوتذكـر الحلـوى التـي يحضرهـا معـه لفهـد وهـدى أبنـاء مديحـة، فوافـق عـلى مضـض.

أول يـوم عمـل كان أمـام ميـدان ابـن الحكـم، ومنـه ولجـا معاً شـارع طومـان بـاي بالزيتـون، تعـرض هواتفهـا المحمولـة، وخلفهـا صـلاح يراقـب الأمـر، ومـع الأيـام تعـدى دوره الحـارس الشـخصي، وصـار همـزة الوصـل بـين الزبـون المشـتري و»ليـني شـاي»، يـشرح للزبـون مـا يتعـذر فهمـه، وفي الجانـب الآخـر يـشرح لهـا مختصـر مـا يقولـه المشـتري.. حقـاً «ليـني شـاي» إنسـانة أمينـة تعـرض وتعـرف الجهـاز بموضوعيـة شـديدة بـدون تزييـف بدايـة مـن بلـد المنشـأ ومـروراً بإمكانياتـه وتقنياتـه وفـترة ضمانـه وقيمتـه الماديـة.

تعود على طبيعة عمله من طول مدة الممارسة والرفض المتكرر للمنتج، حتى إن بعض الزبائن يرفضون من أصله مبدأ الشراء أو الحديث.. إنه لشيء غريب عدم يأسها فاق كل ما كان يتخيله.

وذات مرة قالت له مداعبة إياه (الصبر مفتاح الفرج).. واستمرت تواصل عملها، حاملة حقيبة الموبايلات.. ابتسامتها الخفيفة، وإيماءاتها المهذبة لمن يلقي عليها النكات السخيفة، أضفت عليها احتراماً بالغاً لديه.. العمل والعمل شعار «ليني شاي» في الحياة لا تعرف شيئا اسمه التهريج أو المزاح.. العمل وحده هو حياتها.. سألها يوماً وهما يتناولان الغذاء عن عائلتها، وهل هي متزوجة ولها أولاد، وعن حياتها في الصين.. ردت عليه باقتضاب بأن هذه حياتها الشخصية، ولا تحب لأحدٍ الإطلاع عليها ورجته بأن لا يسألها عن شيء سوى العمل.

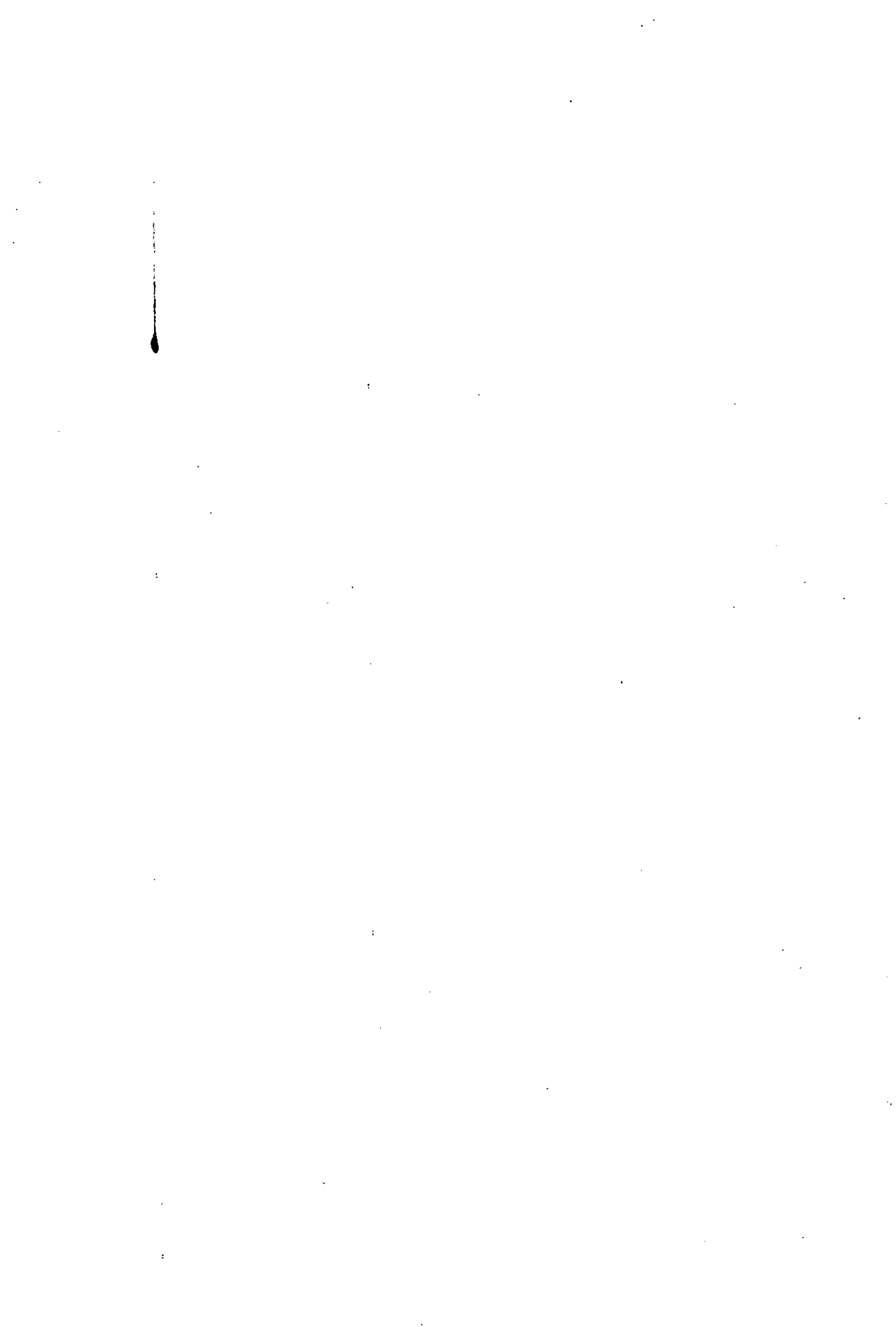
***

مع مرور الأيام توطدت علاقته بهافكان ينتظرها كل يوم أمام كافيتريا أبو الدهب المطلة على شارع عين شمس وشارع محمود النواوي والقريبة من محطة مترو عزبة النخل، حيث تقيم هي وزملاؤها في العقار رقم ٢٤ بشارع يوسف مرزوق في شقة لا تتعدى مساحتها ١٠٠ متر.. تكتظ بهم الشقة، ويتركون أيضاً فيها بضاعتهم وأمتعتهم.. منهم من يبيع الساعات والخلاطات المنزليةوالبعض تخصص في بيع الصواعق الكهربائيةوآخرون في تجهيز العرائس والأدوات المنزلية.

علم صلاح بأنها من فقراء الصينوفرت لها الحكومة الصينية فرصة السفر إلى مصروأمدتها بالمنتجات التي تقوم ببيعها عن طريق التجار الصينيين المتواجدين هناكوتقوم الحكومة بدفع

تكاليـف إقامتهـا، وتحصـل عـلى إجـازة لزيـارة أهلهـا في الصـين.

يونج لي



مر عام منذ بداية عمل صلاح مع البائعين الصينيينوالذين انتشروا في مختلف أماكن القاهرة المزدحمةيبيعون الملابس والإكسسوارات والأدوات المنزلية حتى وصل بهم أن يعملوا كحلاقين يذهبون إلى الزبائن في البيوت.. الفتيات الصينيات تعدى دورهن التجوال في الشوارع إلى طرق الأبواب.. الأسر المصرية سارت تتعلق بهم من خلال معايشتهم ومعاملتهم.

علم صلاح بأن غالبية البائعين الصينيين الجائلين، محكوم عليهم في قضايا تهرب ضريبي، أو عدم سداد قروض ويقضون مدة العقوبة في مصر، حيث يسمح لهم القانون الصيني بقضاء مدة العقوبة خارج البلاد، طالما أن الجريمة التي ارتكبوها لا تتعلق بالدم.. يدخلون البلد بحجة السياحة، ثم يكسرون الإقامة أو المدة المحددة لتأشيرة الدخول، وما يساعدهم على هذا هزلية الغرامة الخاصة بكسر الإقامة بمصر، حيث لا تتعدى ٣٥ جنيهاً للسنة الواحدة، ولا توجد قوائم سوداء تمنع هؤلاء من دخول البلاد. وهناك من يأتي مصر بحثاً عن فرصة عمل، حيث لا توجد فرص عمل كثيرة في بلد يعد عدد سكانه مليار و٤٠٠ مليون نسمة.

أخبرت «ليني شاي» صلاح بأنها راحلة إلى الصين لزيارة أهلها، وأنه سيواصل عمله، كما هو برفقة زميلها «يونج لي» بائع الملابس وأقمشة تجهيز العرائس.. خجل صلاح من الصعود إلى الشقق وطرق الأبواب، وكان يؤثر البقاء أمام العقار لحراسة البضاعة.. كثيراً ما كان ينجح «يونج لي» في بيعه لخفة ظله وروح

فكاهته، لا يخجل في أن يرتدي عباءة حريمي ويحزم خصره بطرحة من التل ويعصم رأسه بمنديل من الساتان، ويقدم وصلة رقص شرقي في وسط الشارع، سكان المرج والشرفا والشيخ منصور ومنطقة المهاجرين باتوا يعرفونه بالاسم.. يدخل الشقق بدون تكلفة ويروح يمزح مع الحريم، ويداعب العرائس ويضحكهن.

ذاعت شهرة «يونج لي» حتى إنهم صاروا يتصلون به لجلب ما يحتاجونه من أقمشة فرش العرائس.. عربة نصف نقل محملة عن آخرها بالملايات والبطاطين والألحفة والمفارش لا يجد صعوبة فى بيعها فى الحال.

أحس صلاح بأن العمل مع «يونج لي» شيء متعب له، وفي غاية الإرهاق.. يستيقظ مبكراً ويعود إلى مسكنه متأخراً متعباً.. استشف «يونج لي» ذلك، فرفع راتبه لا سيما أنه رأى فيه أمانة جمة.

مرات كثيرة يتركه بجوار بضائع تقدر أثمانها بقيم عالية ويصعد إلى الزبون وينزل فيجدها كما هى لم تنقص ثمة شيء فلم تسول له نفسه في يوم من الأيام مد يده إلى الحرام، وطالما ما تذكر والده وهو يقول له كلمة حلال كلمة ممدودة تملأ فم الإنسان، الذي يظل مفتوحاً مدة طويلة، وهو ينطقها بخلاف مفردة حرام كلمة مقتضبة تتفوهها في غضون ثوانٍ معدودات، ثم ينطبق فمك فور نطقها.

لم يسترح صلاح لـ«يونج لي»، وبدأ يساوره الشك فيه، خاصة بعد أن غيَّر برنامج عمله من منطقة شرق القاهرة إلى شمالها، واصطحبه إلى شارع جزيرة بدران بحي شبرا العريق، حيث يستأجر شقة هناك.. زادت ريبته وهو يراه يأخذه معه إلى

السبتية.. هو يعرفه بأنه بائع أقمشة ومفروشات تجهيز العرائس، ما الذي جعله يرتاد تلك المنطقة الرائجة في تجارة أدوات الصرف الصحي والحديد الخردة.

ذهب معه إلى محل شهير صاحبه متعهد استيراد طلمبات رفع المياه إلى الأدوار العليا، ماركة «كالبيدا».. جال في ذهن صلاح المرة التي كان مع والده بالسبتية لشراء طلمبة مياه لبيتهم، وهم على أهبة الرحيل من الزاوية الحمراء، والسكن في بيتهم الجديد بالمرج.. ما زال يتذكر صلاح كرتونة طلمبة رفع المياه المنقوش عليها باللغة الإنجليزية صنع في إيطاليا.. تذكرها عندما أثنى عليها السباك وهو يقول لوالده بأنها من أجود أنواع الطلمبات في العالم.. كان هذا واضحاً من شدة تدفق المياه المندفعة من الصنبور، والتي تلقاها صلاح غارفاً منها وصب منها على وجهه فرحاً بها وماسحاً آثار الشحم العالق على يده إثر مناولته أشياء للسباك، وقال في سره ربما تكون شركة كالبيدا فتحت لها مصنعاً في الصين كتوكيل لها أو ربما كان مستثمرون صينيون اشتروا الشركة الإيطالية لحسابهم.. ولم لا أو لسنا نعيش في قرية كونية صغيرة ومفهوم العولمة يجعل أي إنسان أينما كان باستطاعته شراء أسهم أشهر الشركات العالمية من البورصة وتصير تلك الشركات من أملاكه.

***

انتحى صاحب المحل بـ«يونج لي»، وأمضى وقتاً ليس بالقليل كان يصغي «يونج لي» باهتمام وبين الحين والآخر يومئ بالموافقة، وكأنها حالة جدلية يتحدث «يونج لي»، ويصغي المتعهد، وفي النهاية تصافحا.

عـاد «يونـج لي» إلى الشـقة ثانيـة، والتـي تعـد مخزنـاً مملـوءً عـن أخـره بكراتـين مواتـير رفـع الميـاه والمـدون عليهـا (صنـع في إيطاليـا)، والعلامـة والماركـة التجاريـة للشركـة العالميـة هـي هـي، واسـترعى نظـره كرتونـة ممزقـة وتظهـر منهـا طلمبـة، وهـي أيضـاً منحـوت عـلى معدنهـا صنـع بإيطاليـا، فطـن صـلاح لذلـك، فالصـين أكـبر مقلـد للـماركات العالميـة في العـالم فهـو يعـرف بأنـه يتـم تغيـير حـرف مـن اسـم المنتـج الشـهير، فمثـلاً باناسـونيك تصـير باناسـونيج بتغيـير حـرف الـكاف إلى حـرف الجيـم، أمـا أن يحـدث تقليـد كلي في الكلمـة والعلامـة التجاريـة ودولـة المنشـأ هـذا شيء جديـد عليـه، وممقـوت منـه ولا يحبذهفهـم بالتأكيـد يسـلكون الطـرق الملتويـة للسـطو عـلى حقـوق ملكيـة الآخريـن.

مـن خـلال معايشـة «يونـج لي» لصـلاح ورؤيتـه لـه، وهـو ينظـر في الكرتونـة الممزقـة، ويقـرأ عـن كثبتأكـد «يونـج لي» بأنـه اكتشـف الأمـر برمتـه؛ فاقـترح عليـه بـأن يروحـا عـن أنفسـهما ويقضيـا ليلتهـما ببـار يعتـاد «يونـج لي» السـهر فيـه بوسـط البلـد؛ أبـى صـلاح ذلـك فهـو طيلـة عمـره لم يـذق طعـم المسـكرات، ضحـك «يونـج لي» بخبـث، وقـال لـه مداعبـاً بـأن في البـار يقدمـون عصائـر بجانـب الكحولياتوعندهـم أيضـاً عصـير البرتقـال الـذي يحبـه، وافـق عـلى مضـض فلـم يجـد بـداً تجـاه إلحاحـه العنيـد والشـديد معـه.

أجلسـهما النـادل عـلى منضـدة مخفيـة عـن نظـر رواد البارليبـدو أن «يونـج لي» يسـهر كثـيراً في هـذا البـار، فالنـادل يعرفـه بالاسـم، وقـدم لـه عـلى الفـور نـوع الوسـكي الـذي يحبـه وطلـب مـن النـادل إحضـار عصـير برتقـال لصـلاح.

نظر إليه «يونج لي» ملياً وقال:

- يا صلاح أنت إنسان مثالي وطيب، وفى عصرنا هذا المثالية تغدو شيئاً مذموماً في هذا العالم المتوحش، القوي يلتهم الضعيف، نحن نعيش كما يحدث فى الغابة، الحيوانات المفترسة تفتك بالأخريات الضعيفات، في هذا العالم القذر المبادئ لا مكان لها، فالدول الكبيرة تنقض على الدول الصغيرة، تغتصب منها مقدراتها وحقوقها، في هذا البار وأمامك الآن أناس معهم ملايين الجنيهات ينفقون منها ببذخ على الراقصات والعاهرات، هذه الأموال تكفي منطقة بأسرها مثل المرج لإطعام كل فقرائها وكسوة كل محتاجيها من المعدمين.. يا صلاح تعايش مع عالمك هذافالوقت والعمر يجري بك مثل دوران بدال الدراجة بسرعة مفرطة.

وبالفعل تأقلم وتعايش صلاح مع واقعه هذا، كان يغض البصر عن أشياء ليست بالسليمة، «يونج لي» الحقير هو وصلة الهمز بين المقلدين في الصين والوكلاء والمتعهدين القذراء لهذه المنتجات العالمية فى مصر، وتعدى التقليد شركة «كالبيدا»؛ فغدا لشركات أخرى رائجة الصيت والشهرة لها نصيب من التقليد.. عرف بأن في الصين أي شيء هناك يقلد ويصنع مثله صورة طبق الأصل.

عصير البرتقال أُستبدل بزجاجة بيرة وزجاجة البيرة صافحت زجاجة الوسكي.. سهر صلاح مع «يونج لي» كثيرا وراح في أحضانه واصطبغ بلونهوبقى معه ولم يرجع ثانية إلى «ليني شاي»، التي عندما رجعت إلى مصر نظرت إلى «يونج لي» باحتقار وإلى صلاح بشفقة، وعاودت عملها بحارس آخر، وعندما سألها عملاؤها عنه قالت لهم بأنه ذهب.



١

شنغهاي



استقر صلاح مع «يونج لي»، وتعدى دوره من حارسته الشخصية إلى معاونٍ له في عمله، فكثيراً ما كان «يونج لي» يسند له مهام ومقابلات مع رجال أعمال في السبتية وأصحاب محلات لبيع الأجهزة الطبية بعابدين. ومرات كثيرة ذهب صلاح إلى بورسعيد بمفردهقابل فيها أشخاصاً ممن يعملون في تهريب الملابس الجاهزة.. ربح من جراء ذلك مبالغ طائلةفاشترى سيارة وأعاد دهان شقته وشقة أخته مديحة ورمم سلم العقار وأعاد طلاء واجهة بيتهم.

أخبره «يونج لي» بأنه اشتاق لرؤية أسرته، وحن لسماع أصوات طفليه، وأنه الآن يحزم حقائبه للسفر للصينوأدهش صلاح قائلاً له بأنه سيرافقه في هذه المرة لزيارة مدينته بالصين، ومسقط رأسه شنغهاي.. واندهش وهو يعلم بأنها رحلة سياحية، ولها شق آخر عملي وسيعرفه فيما بعد هناك.

***

شنغهاي هي عاصمة الصين الاقتصادية والتجاريةوهي من أكبر مدنها من حيث تعداد السكان، إذ يبلغ عدد سكانها ٣٢ مليون نسمة، وواحدة من أجمل مدن الصين والعالم، وتتمتع بموقع متميز، حيث تقع عند مصب نهر اليانغس في وسط ساحل بالصين، كما تتميز المدينة بالعديد من ناطحات السحاب الرائعة والمبنية على أحدث طراز عالمي، ونجحت الصين في الحصول على استقلالها في عام ١٩٤٩م بعدما تخلت الدول الأجنبية عن

الامتيـازات الموجـودة لهـا في الصـين.

بمدينــة شــنغهاي مــضى «يونـــج لي»، بصحبــة صــلاح في نزهــة سـياحية تفقـد خلالهـا حديقـة «هونـج كـو»، وهـي مـن أجمـل معـالم مدينــة شــنغهاي، وزار معبـد بــوذا وهــو مــن الطــراز القديـم ومـن أجمـل آثـار هـذه المدينـة، وشـاهد القـلاع الصناعيـة والتـي تهتـم كثـيراً بصناعــة الســفن والماكينـات وصناعــة الإلكترونيـات والكيماويـات والغـزل والنسيج، وجـالا في الأحيـاء التجاريـة الصغـيرة، والتـي تهتـم بالصناعـات الدقيقـة وخاصـة السـاعات.

***

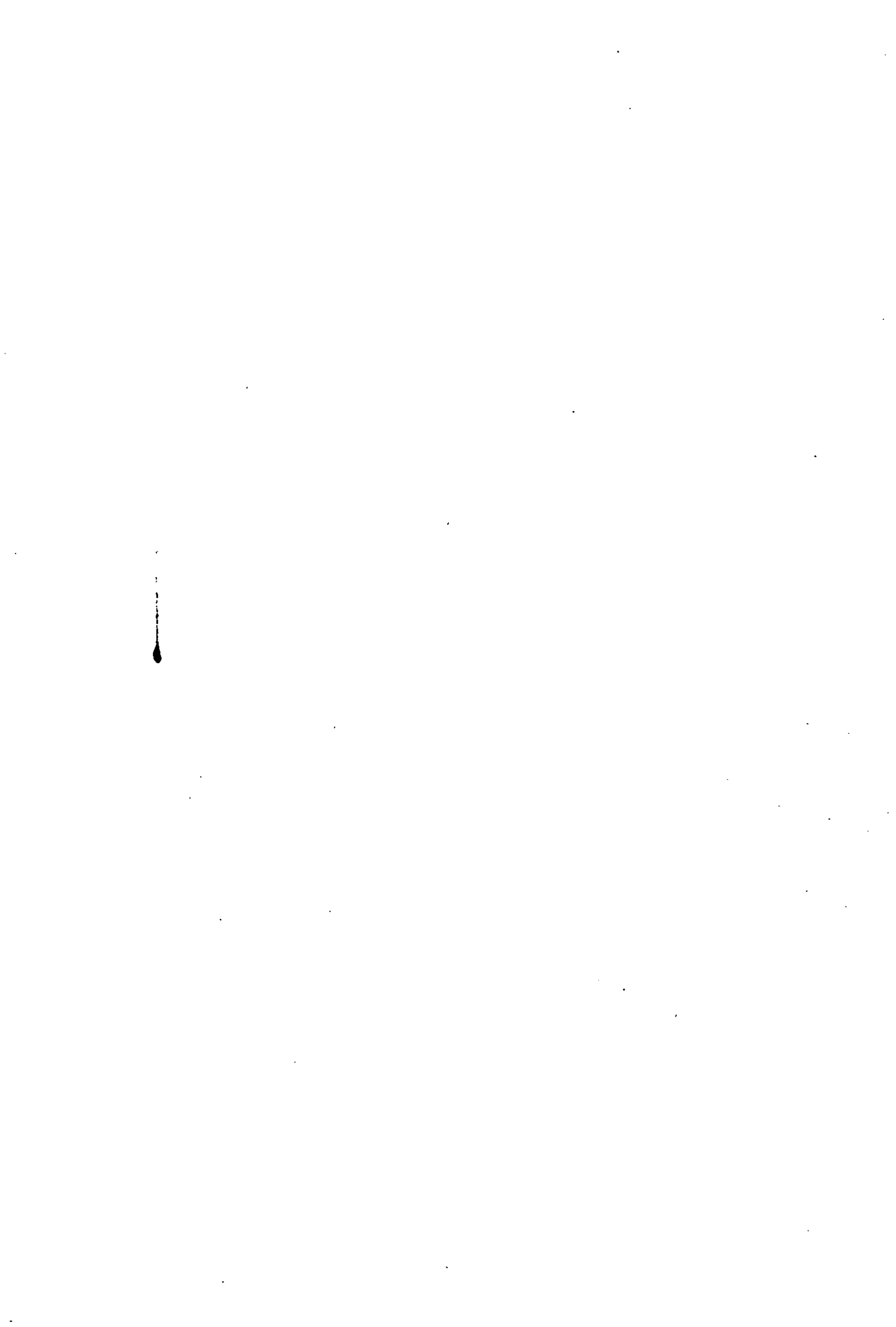
تعــرف صــلاح عــلى أسرة «يونـــج لي» وصافــح زوجتــه «مـا لي» وقبـل طفليــه «لي شــاي» و «لي بــاي»، واســتطعم الأرز الصينــي المخلـوط بالخضـار والجمـبري، وأعجـب بطعـم البـط البكينـي وطبـق فاهيتـا الدجـاج.

قـال لـه «يونـج لي» إنهـم أنهـوا الشـق السـياحي والترفيهـي لهـذه الرحلــة، وآن الأوان لشــقها العمــلي.. ولــج «يونـــج لي» وصــلاح الضاحيــة الشرقيــة لمدينــة شــنغهاي والمشــهورة بصناعــة لعــب الأطفـال.. تجـول صـلاح بأحـد المصانـع العالميـة الشـهيرة بصناعـة عرائــس الأطفــال.. فاترينـات بطـول وعـرض حوائــط صــالات العــرض مكتظـة بالعرائـس بكافـة الأشـكال، وبـكل التصميـمات وبجميـع الإمكانيـات.. تذكـر صــلاح عــروس المولــد النبــوي والفـارس المتطـي ظهـر الحصـان شـاهراً سيفه، وهـو يشـاهد الصالة المخصصـة لعـرض أذواق المجتمعـات الشرقيـة.. رأى عروسـاً متشـحة طرحـة ومرتديـة جلبابـاً ريفيـاً وعـلى رأسـها قلـة قناويوشـاهد عروسـاً عـلى هيئـة فرعـون وفي فاترينـا أخـرى رأى مجسـماً حيـاً لـدوار العمـدة

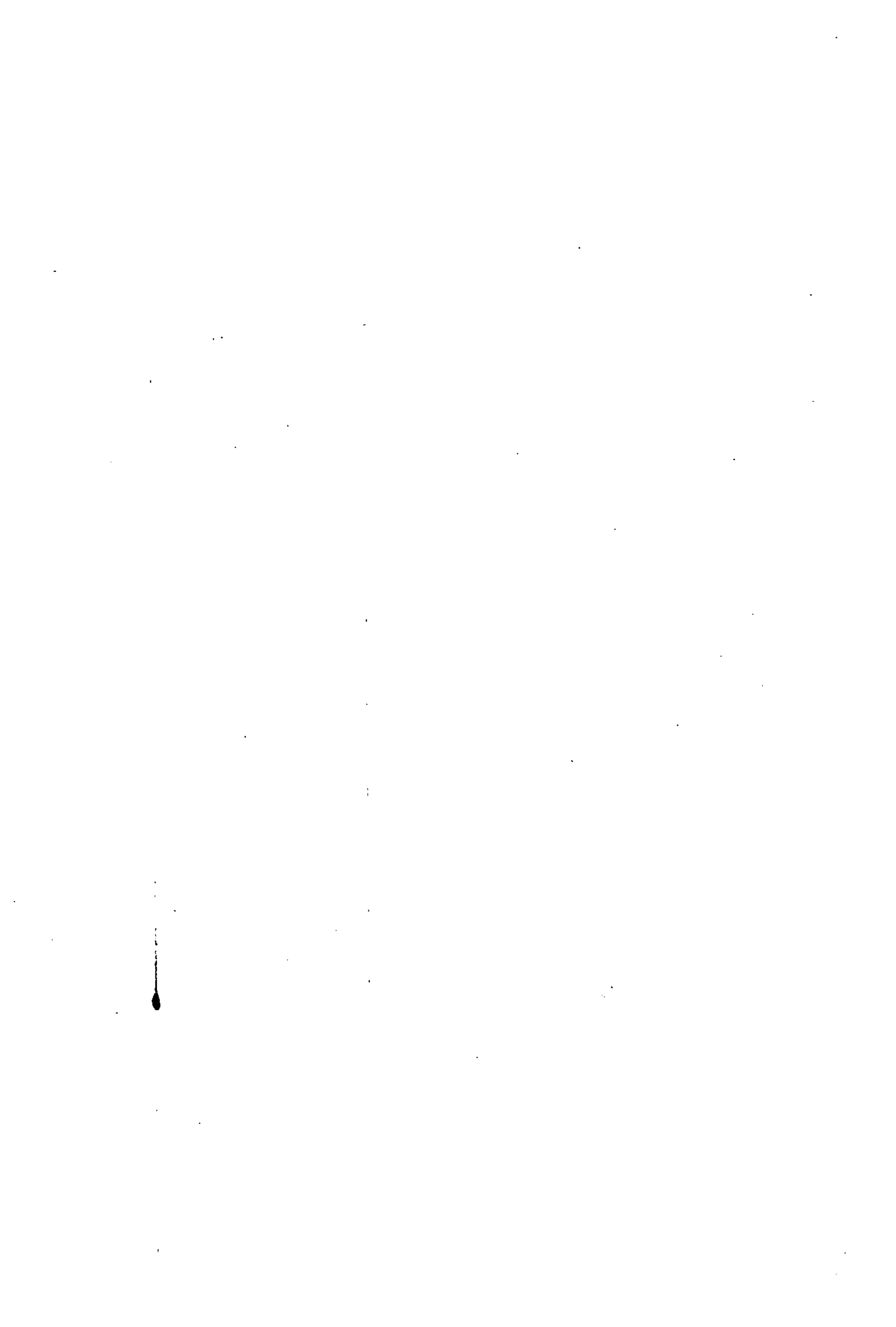
بـه الخفـر والعمـدة والسـلاحليك، وأناسـاً ريفيـين يقدمـون شـكواهم للعمـدة.

أشـار «يونـج لي» لصـلاح إلى صالـة أخـرى ملاصقـة إلى صالـة عرائـس ولعـب الأطفـال.. الصالـة بهـا موديـلات يرتـدون قمصـان نـوم شـفاف مثـير، وأخـرى فسـتان زفـاف وأخـرى معروضـة بأوضاع جنسـية، وتصـدر منهـم أصـوات (بدلع)، انعطـف «يونـج لي» إلى ناحية أخـرى، والموديـلات هـذه المـرة عاريـة تمامـاً مـن أي زي.. أوضاعهـن غـير لائقـة وتهيـج الغرائـز الجنسـية للمشـاهد.. منهـا مـن يقبـض عـلى نهودهـن، وبعضهـا يظهـر فروجهـن.. أشـار «يونـج لي» إلى موظـف فأخـرج واحـدة وقدمهـا لصـلاح، وقـال لـه مزيلاً دهشـته إنهـم الآن في قسـم عـرض الدُمـى الجنسـية.. أمسـك «يونـج لي» يـد صـلاح، والتـي أحـس بارتبـاك بهـا، وهـو يلامـس الدميـة الجنسـية.. الدميـة الجنسـية تحاكـي مواصفـات المـرأة الطبيعيـة مـن ناحيـة المقاييـس المثاليـة والبشرة والحـرارة والليونـة كـما أنهـا مصنوعـة مـن مـادة السـليكون التـي تشـبه جلـد الإنسـان.. دلفـت الدميـة إلى صـلاح ببـطء وأعطتـه قبلـة خفيفـة عـلى شـفتيه.. ضحـك «يونـج لي» ضحكـة صاخبـة راجعـاً إلى الخلـف خطـوة وصـلاح في حالـة دهشـة بالغـة.

أشـار إليـه موظـف آخـر بارتيـاد المصعـد لمقابلـة مسـتر «شـين كيـو» مالـك المصنـع.. الصـورة بـدأت تتضـح في مخيلـة صـلاح وغمامـة الغشـاوة شـيئاً فشـيئاً راحـت تنـزاح.



شين كيو



استقبلهما مستر «شين كيو» بترحاب وبشاشة، مصافحاً إياهما بحرارة.. «شين كيو» ستيني العمر تزين ذقنه كثة خفيفة يرتدي سترة تانخ (الزى القومى بالصين)، دعاهم للجلوس في غرف الاستقبال.

سأل مستر «شين كيو» صلاح عن انطباعه عن مدينة شنغهاي، وهل هي تختلف عن القاهرة، أجابه بأن البشر هم البشر، ولكن لكل مكان عاداته وتقاليده وسلوكه في الحياة.. قال مستر «شين كيو» بأنهم يقولون في أمثال العرب خير الكلام ما قل ودل وأنا سأفاتحك في الموضوع على الفور.. وقام وأمر «يونج لي» وصلاح باتباعه، حيث دخل قاعة الاجتماعات وأعقبه صلاح و«يونج لي».. القاعة مجهزة بأعلى التقنيات الحديثة من شاشة عرض تتصدر الحائط المقابل لباب القاعة.. المقاعد الوثيرة على شكل حدوة الفرس.. قبالة كل مقعد مذياع صغير وسماعة أذن للترجمة وشاشة صغيرة تظهر من يلقي المحاضرات وشاشة لاب توب بها المعلومات التي تخص موضوع النقاش.

جلس مستر «شين كيو» على المنصة وبجواره صلاح، والذي نظر إلى «يونج لي» بازدراء، وهو يراه في القاعة.. «يونج لي» يعمل باحثاً في هذا المصنع.. يجمع معلومات عن الحالة المزاجية الشرائية للشعب المصريويعمل استطلاع رأي عن مدى قبول الذوق المصري للمنتجات الصينية المختلفة لمصانع كثيرة في الصين، وبالتأكيد في هذا المصنع الذي يبيع منتجات الشهوة الحرام لن يوجد إنسان خليق لهذه المهمة القذرة أكفأ منه.. ازداد

احتقار صلاح لـ«يونج لي».. ياله من إنسان حقير في أي شيء يعمل وبأي مهمة يقبل والشيء المهم عنده هو المادة، فالمادة فالمادة.. ألبس صلاح أذنيه سماعات الترجمة، وسمع صوتاً باللغة العربية يقول له: هل تسمع الصوت؟ فأومئ له بالرضا.. وقف «شين كيو» وأمسك عصا تشبه المسطرة، وأطفئت الأنوار، وأُضيء نور الشاشة، وراح يتحدث، ومع كلامه تظهر صور تتخللها مقاطع فيديو:-

تنتشر العنوسة في مصر بدرجة كبيرة، وحسب الإحصاءات الرسمية يوجد في مصر ١٣ مليون شاب وفتاة تتجاوز أعمارهم ٣٥ عاماً، ولم يتزوجوا منهم ٢,٥ مليون شاب و١٠,٥ مليون فتاة فوق السن، ومعدل العنوسة في مصر يمثل ١٧٪ من الفتيات اللاتي في عمر الزواج، ولكن هذه النسبة في تزايد مستمر.. معدلات البطالة وغلاء المهور والإسكان على وجه الخصوص وارتفاع أسعار تكاليف الزواج الناتجة عن العادات والتقاليد المتبعة وتباين الكثافة السكانية من حيث الجنس، حيث إن عدد الإناث أكثر من الرجال.

واسترسل يقول ويظهر على وجهه علامات الامتعاض:-

هؤلاء العوانس أليس لهن حق علينا؟ كيف نتركهن يتألمن تحت الفراش، متوجعات من فرط إفراز الهرمونات الجنسية (تظهر لقطات فيديو على الشاشة تظهر عوانس يتلوين متوجعات تحت الغطاء).. بعضهن يسلك عادات سيئة مثل ممارسة السحاق أو العادات السرية البغيضة، وآخريات يحضرن أشياء تشبه قضيب الرجل ويقضين بها شهواتهن، حالة الوحدة التي يعانين منها اشتياقهن للجنس الآخر والاحتياج الطبيعي للجنس، الذي يغدو

مثل الجوع والعطش.

أخذ رشفة من فنجان القهوة وأردف يقول وهو متجه ناحية شاشة العرض ومشيراً إليها:-

كنا من أوائل الشركات في العالم في تصنيع الدُمي الجنسية، هذه الدُمي الأنثوية أتت غرضها للرجال العازفين عن الزواج والمتوحدين مع أنفسهم والمنزوين بذواتهم، في بادئ الأمر قابلتها المجتمعات الشرقية بالازدراء والاستهجان، ومع مرور الوقت لاقت رواجا مقبولاً، وبالأخص في منطقة شمال أفريقيا.

أما بخصوص الطرف الثاني من البشرية، كنا أيضاً قد صنعنا لهن أعضاء ذكرية بنفس المواصفات الطبيعية للعضو الذكري للرجل مثل الانتفاخ والامتلاء والانتصاب والليونة والمرونة، وأخذنا على عاتقنا بالتطور، فكان حضن الرجل جهازاً تندس في داخله الأنثى في أخر الليل تشعر فيه بالدفء وحميمية حضن الرجل، وتوكيداً مع تقدم العلم توصلنا إلى «ريبوت» أو ما يعرف عندكم باسم الإنسان الآلي.

أشار إليه في شاشة العرض ثم أطفئت الشاشة، وتم تشغيل أنوار القاعة ودعاهم موظف الاستقبال إلى البوفيه المفتوح المُعد خصيصاً لـ«يونج لي» وصلاح.



روكي

«١»



«١»

عاد صلاح إلى مقعده وأعقبه «يونج لي»، وباقي الجلوس، هذه المرة قدم مستر «شين كيو» مهندس ومبتكر ومصمم الريبوت «جين تاو».. قال مستر «شين كيو» بأنه يرجع له الفضل في اختراع هذا الريبوت، وهو صاحب الفكرة وبراءة الاختراع.. المهندس «جين تاو» بجانب حبه لهندسة الإلكترونيات له ميول في علوم الإنسانيات وشغف وحب إلى الإطلاع إلى دراسة الشرقيات.. السيد «جين تاو» قيمة إنسانية رائعة بجانب أنه عبقري في صناعة الريبوتات أو الإنسان الآلي.

مضى «جين تاو» ناحية المنصة، وانحنى انحناءة خفيفة توقيراً لسيده وأستاذه مستر «شين كيو»، وأخذ منه المذياع وعاد «شين كيو» بالجلوس بجوار صلاح.. أول ما تكلم شكر معلمه «شين كيو»، وأثنى على فضله معه، فهو من قام بتبنيه منذ نعومة أظافره بعدما استشف فيه نبوغاً وذكاءً.. مستر «شين كيو» أبوه الروحي الذى طالما يحتذي به، والذي تكفل بتربيته ومصاريف دراسته؛ لأنه من أسرة فقيرة تعيش في أحياء متواضعة بعشوائيات العاصمة الصينية بكين.

أطال «جين تاو» النظر إلى صلاح، وقال إنه لا ميول سياسية لهموإن عليه أن يبعد فكرة المؤامرة من داخله، نافضاً الظنون الخبيثة بمخيلته بأنهم يتبعون إحدى المخابرات العالميةأو إنهم عملاء لإحدى الدول، التي في صراع مرير بما يقرب عن قرن

من الزمن مع دول المنطقة.. كل همنا في هذا الأمر هو الإنسان بكل ما يحمل من معانٍ إنسانية وصفات نبيلة راقية.

***

دخل «جين تاو» غرفة صغيرة بجوار المنصة، وعاد حاملاً الريبوت الذي أخرجه من جرابهوضغط على الريموت فتحرك واقفاً على منصة القاعة منتصباً ومبتسماً وفارداً ذراعيه إلى الأمام مُرحِباً بالحضور.

لف «جين تاو» الجراب ووضعه على نضد بجوار الريبوت، وعاد والتقط مكبر الصوت وأردف يقول بأنهم لقبوا هذا الريبوت بـ»روكي»؛ لكثرة تداول هذا الاسم في منطقة الشرق الأوسط.. «روكي» مصمم بطريقة لا يستجيب لأي أمر؛ أي شخص سوى مالكه، وله شفرة سرية وكود رمزي من خلاله لا تستجيب الدمية لأي أمر بخلاف من أدخل هذا الكود.

ابتسم «جين تاو» ابتسامة في ثناياها المودة والألفة، واسترسل يقول بأنهم أخذوا في اعتبارهم عادات وتقاليد المجتمع الشرقي المحافظ وعفة سلوكه.. هؤلاء العوانس يفضلن الموت على أن يفض أحد غشاء بكارتهن غير أزواجهن المحبين لهن في ليلة الدخلة وصوت زغاريد أمهاتهن يدوى فى آذانهم ومباركة أقاربهن تبهجهن على استحياء، لهذا الأمر صمم العضو الذكري لـ»روكي» من مادة مطاطية خفيفة لينة تحدث الاستمناء للعانس كأنها تمارس الجنس الطبيعي مع حماية شرفها من حدوث أي خدش لغشاء بكارتها.. صمت المهندس «جين تاو»، ثم عاد يقول بوقاربأن هناك أشياء لفظها المجتمع المصري في بداياتها، ولكن مع مرور الوقت تأقلم وتكيف معها مثل وسائل منع

الحمل والواقي الذكري والدعامات الذكرية وجيل مساعدة الجماع.

داس «جين تاو»على زر بالريموت معطيا أمراً لـ«روكي» فراح «روكي» يرقص ويغني ويصفق (الليلة عيد... على الدنيا سعيد).. أمسك «جين تاو» مكبر الصوت وقال بأن «روكي» بجانب مهمته الأساسية الإشباع الجنسي للعانس له مهام أخرى مثل مشاركتها أفراحها وأتراحها ومساعدتها في الأعمال المنزلية من تنظيف البيت إلى الطهي وتسليتها في لعب الشطرنج ومشاهدة التلفاز.

أخذ الجراب من على النضد وأشاح به وواصل «جين تاو»حديثه، بأن «روكي» تم تصميم جراب له للمحافظة عليه من ناحية ولاختبائه من ناحية أخرى للحفاظ على السرية حيث إن الطبيعة المصرية تخجل من ذلك، وزن «روكي» خفيف لا يتعدى العشرين كيلو جرام حتى يسهل حمله.. مع «روكي» أكثر من بدلة بداية من بدلة الزفاف، ومروراً ببدل الخروج والمناسباتومعه أيضاً بيجامة نوم وغيارات داخلية وجوارب وثلاثة أحذية وجلباب بلدي وجلباب سعودي بطاقية بيضاء ومسبحة وشبشب حمام ومصحف صغير.. «روكي» هذا أحدث ما توصل إليه العلم في صناعة الروبوتات.

توقف «جين تاو» عن الكلام، وأشار «شين كيو» بيديه للانصراف، فانصرف كل من في القاعة، ولم يبق سوى «يونج لي» والمهندس «جين تاو» وصلاح.. انتحى «جين تاو» بصلاح جانباً، وقال له بأنه سيدربه على استخدامه لمدة ثلاثة أياموسيعطيه سي دى عليها كل شيء يخص الروبوت «روكى».. ستكون معه بمصر

لمساعدته فى فهم أشياء فى الربوت قد تتعذر عليه مسبقا.

ربت «جين تاو» على منكبي صلاح، وبصوت حانٍ قال له بأنهم في احتياج لفتاة عانس لتجريب «روكي».. هذه العانس ستعايشه وتعاشره معاشرة كاملةوتقضي معه فترة من الوقت، ثم تفصح لنا عن ما أحست تجاهه وشعورها ناحيته بأمانة وصدق.. ضم «جين تاو» صلاح إليه ضمة خفيفة وراح يبتسم «يونج لي» و«شين كيو» باقتضاب.. وعاد يقول بأن الدُمية «روكي» في طور التجريب، ولهذا لم نجعل لها شفرة سرية حتى يسهل انتقاله من شخص إلى آخر.. العانس ستقعد مع «يونج لي»، والذي سيسهل لك الكثير من إجراءات تلك العملية وستكلمه وتحكي له، ومن خلال هذا سيتضح الأمر لنا هل نحن نجحنا أم أخفقنا في صناعة هذه الدمية الجنسية.. كلام الفتاة العانس في غاية الأهمية سينكشف لنا من خلاله كافة الأشياء عن «روكي».. ما هي نقاط ضعفه وتميزه؟ فشله ونجاحه فى أشياء معينة؟ جوانب القبول والرفض تجاهه ومدى حب العوانس وبغضهن له؟.

أنهى «جين تاو» حديثه وعاد إلى مقعده، واقترب مستر «شين كيو» من صلاح، وقال بأن له في هذه المهمة مليون دولار ستقسم بالتساوي بينه وبين الفتاة العانس.. ومائة ألف دولار له وحده إكراماً لقدومه مدينتهم الجميلة شنغهاي ضيفاً سعيداً لهم.

وهو مستلقٍ على فراشه في غرفته بعد ما حزم حقائبه للرجوع إلى مصر، جالت صورة نرجس في مخيلته وراح يقول هامساً هي نرجس... هي نرجس... هي نرجس

روكي
«٢»

عـاد صـلاح إلى مـصر محمـلاً بالهدايا لأختـه مديحـة، وأبنائهـا وأقاربه وجيرانـه وأصدقائـه.. قـال لـه فهـد مازحـاً بأنهـم كانـوا يتوقعـون أن يـروا عينيـه ضيقتـين تشـبه أعـين الصينيـين.. ليلـة بأكملهـا قضاهـا صـلاح، وهـو يحكـي لفهـد وهـدى ومديحـة عـن مشـاهداته في شـنغهاي.

آثـر صـلاح أن يريـح نفسـه، ويحصـل عـلى إجـازة مـن عملـه لحـين عـودة «يونـج لي» مـن الصـين.. اسـتبدل عربتـه القديمـة بأخـرى أحـدث موديـل، وأهـدى منـى جاكـت مـن الصـوف الإنجليـزي القيـم، وأعقـب الجاكـت هاتـف محمـول ماركـة سـوني، وعندما سـألته عـن سـبب كل هـذه الهدايـا، قـال لهـا بأنـه يحـب الجـمال والجـمال لزامـاً عليـه أن يحفـظ في شيء قيـم وفي سره تمتـم يقـول تمهيـداً وفرشـاً لم هـو آت .

بعـد ثلاثـة أشـهر عـاد «يونـج لي»، وهمـس في أذن صـلاح قائـلاً بأنـه رجـع ومعـه «روكـى»، وفي نفـس الشـقة التـي ولجهـا صـلاح آنفـاً كان «روكـي» في انتظـاره.. هـذه المـرة الريبـوت «روكـي» بخـلاف مـا رآه في الصـين وجهـه يشـابه السـحنة المصريـة، البـشرة القمحاويـة والعينـين السـوداويين الواسـعتين، الحواجـب الغليظـة، والشـعر الناعـم المصفـف عـلى جانبيـه.

أمسـك «يونـج لي» الريمـوت ووجهـه إلى «روكـي» وأعطـاه أمـراً،

فتقدم نحوهما بخطوات تناسب حيز المكان وجلس مواجهاً لهما.. أشار «يونج لي» إلى «روكي» لمصافحة صلاح، والذي لبى أمره، فقام وصافح، قابضاً على راحة يده.. قال له «يونج لي» بأنه من الآن أنت مع صلاح ستطيعه في جميع الأوامر.. أومأ «روكي» برأسه قائلاً: نعم يا سيدى سأطيع سيدى في أوامره.

قدم «يونج لي» لصلاح حقيبة صغيرة من الجلد الطبيعي، وقال له بأن في هذه الحقيبة نصف مليون دولار، وفي نهاية العملية ستقبض النصف الآخر من المليون دولار، ثم أخرج من جيبه إيصال أمانة مدون به مبلغ عشرة ملايين دولار وقال لصلاح بأن يوقع على هذا الإيصال، وهذا لضمان حقهم في «روكى»، ومن ناحية أخرى حتى لا تسول له نفسه بأن يلعب بذيله، ولا يكون معهم أميناً في تجربتهم هذه، وطمأنه بألّا يقلق من شيء، فهم في منتهى الصدق معه وسيأخذ هذا الإيصال وسيمزقه بيده بعدما ينتهون من أمرهم هذا.

أجلس صلاح «روكي» بجواره في المقعد الخلفي للسيارة وفي داخل جرابه، آثر السائق بأن يغير خط سيره المعتاد لوجود ازدحام مروري في أحد الشوارع الحيوية نتج عن اصطدام سيارتين.

ود صلاح بأن يخرج «روكي» من جرابه ليريه التحف المعمارية التي تخص الحقبة الخديوية والسيارة تسلك مسارها في شارع طلعت حرب.. تمنى لو أن «روكي» ينعم باستنشاق عبير نهر النيل ويحتسي كوباً من الشاي الساخن على ضفافه.. والسيارة تلج ميدان العتبة المزدحم بالنساء الراغبات في شراء ملابسهن، أحس صلاح باحتكاك بإبطه أحدث صوتا يشبه حفيف

الأشجار، وضحك وقال في سره: يبدو أن «روكي» اشتم رائحة النساء فهاجت غرائزه فتحرش بى.. انعطفت السيارة محاذية لسور مجرى العيون، ثم ما لبثت أن صعد الطريق الواصل لقلعة صلاح الدين.. ونظر إلى «روكي»، وقال في داخله بأن هذه قلعة صلاح الدين الأيوبي، التي شهدت أحداثا جساما في تاريخ الشعب المصري، وأعظم شاهد على عظم البناءّ المصري وروعة فنه في النقش على الحجر وفي التصميم الهندسى المعماري. وفي أسفلها آثار الدولة الفاطمية والمملوكية التي يفوح منها عبق أصالة الماضي.. وأشار إلى «روكي» ناحية إحدى الشرفات المزينة بالأرابيسك والتى تعلوها الأواني المحلاة بالفضةقائلاً له هل رأيت من قبل أجمل من هذا؟.

***

سارت العربة بهم بشارع صلاح سالم، ومنه إلى ضاحية مصر الجديدة حتى وصلوا إلى جسر السويس، فميدان ألف مسكن، وانعطفت ناحية شارع أحمد عصمت بحي عين شمس، وفي النهاية رست بهم أمام مسكنه بالفلاحة في المرج.

انزعج السائق من كثرة المطبات وتكسر أسفلت الشوارع وقال له بأنه لو علم بهذا ما كان له أن يوافق أبداً بارتياد هذه المنطقة، فشوارعها تقطم ظهر السيارة.

الوقت تأخر، وهو الآن في الهزيع الأخير من الليل.. استحسن صلاح ذلك حتى يتجنب نظرات الناس، وبالأخص أعين الشيخ السلفي صالح بائع المنظفات والحاج مصطفى الفيومي صاحب المخبز السياحي، وأبو مريم بائع الطرح الحريمي.

حمل الجراب بعناية، وكان كلما تذكر قيمة إيصال الأمانة

ترتعش قدماه وهو يرتقي درجات السلم.


روكي
«٣»



من فرط تعبه من نهار يوم أمس، استسلم صلاح للنوم مستلقياً على ظهره كالجثة الهامدة، بعدما أرقد «روكي» على السرير، وفرش عليه الغطاء في الغرفة المطلة على المنور، استيقظ مبكراً في الحال اطمأن على «روكي».. مسح وجهه بمنديل ورقي ورش عليه قطرات من الصابون السائل، ثم استبدل المنديل بآخر أغمصه في زيت الشعر اللامع ودهن به شعره، ثم صففه على جنب وأسجاه مرة ثانية على السرير، وأسند رأسه على مخدة صغيره ثم غطاه.

عادت مديحة إلى البيت بعدما أوصلت أبناءها إلى المدرسة، فتحت شقة صلاح، فتضايقت من أول وهلة.. الشقة يظهر عليها الاتساخ والإهمال فحوائطها مغبرة إثر تعلق التراب عليها وأرضيتها متسخة وسقفها يعشش عليه العنكبوت، أخذت على عاتقها تنظيف الشقة اليوم.. اندهشت مديحة وهي تفتح باب الغرفة وتساءلت في نفسها لماذا غيرّ صلاح غرفته وظنت في بادئ الأمر أن هذا سبب تأخيره في الاستيقاظ، صفقت صفقتين خفيفتين، ونادت صلاح فلم يستجب لها وعادت ونادته مرة أخرى بصوت أعلى عن ذى قبل، فلم يرد عليها أحد لم تجد بداً من أن تزيح الغطاء من عليه، فهالها ما رأت، رجعتِ خطوتين إلى الخلف، وهي تضرب صدرها براحة يدها، وتقول بصوت هامس: رجل على السرير، دققت النظر، ثم رنت إليه برهة من الوقت، فالرجل ليس برجل فلا حياة تدب في داخله..

هــذا موديــل عــرض ممــن يشــاهد في فاترينــات المحــلات.. خمنــت بــأن أخاهــا ربــما أحــضره معــه مــن الصــين، بنــاء عــلى طلــب أحــد أصحــاب محــلات الملابــس الجاهــزة بوســط البلــد، غطتــه مــرة أخــرى وواصلــت عملهــا.

تأخــر الوقــت وصــلاح لم يرجــع بعــد.. هاتفــه يعطــي رســالة مســجلة بأنــه غــير متــاح، وفي خــارج نطــاق الخدمــة.. قلقــت مديحــة فهــي لا يأتيهــا النــوم إلا بعــد أن تطمئــن عليــه بأنــه في الشــقة أو في طريــق رجوعــه إلى بيتهــم.. نزلــت إلى شــقته تنتظــره بتلهــف وكل لحظــه تنظــر إلى ســاعة الحائــط المواجهــة لكــراسي الصالــة.. فجــال في خاطرهــا الموديــل واســترعى فضولهــا مشــاهدته عــن كثــب.. فتحــت بــاب الغرفــة ورأتــه مســجى عــلى الســرير وعينــاه تزهــو أمامهــا ويلمــع فيهــما بريــق خاطــف للنظــر.. دنــت منــه عــن قــرب وحادثــت نفســها لكــم أنــت جميــل! خيــل لهــا «روكــي» بأنــه عبــد الهــادي.. وأردفــت تحــادث نفســها: أتيــت يــا عبــد الهــادي مرحبــاً بــك في دارك الســعيد.. أراحــت كــف يدهــا عــلى رأســه وبأنامــل أصابعهــا تحسســت وجهــه فاســتجاب لهــا وأســند ذراعيــه عــلى كتفهــا، وببــطء أنــزل يــده متحسســاً ظهرهــا وراح يلامــس رقبتهــا برفــق.. رويــداً رويــداً أخــذ يجذبهــا إليــه فلثــم شــفتيها.. أحســت مديحــة بــشيء ليــس بالجميــل ولا بالقبيــح وغــير قابــل للتعبــير.. أعطاهــا «روكــي» هــذه المــرة قبلــة طويلــة أدهشــتها..أزاحتــه مــن أمامهــا وبصقــت عــلى الأرض مــن اشــمئزازها.

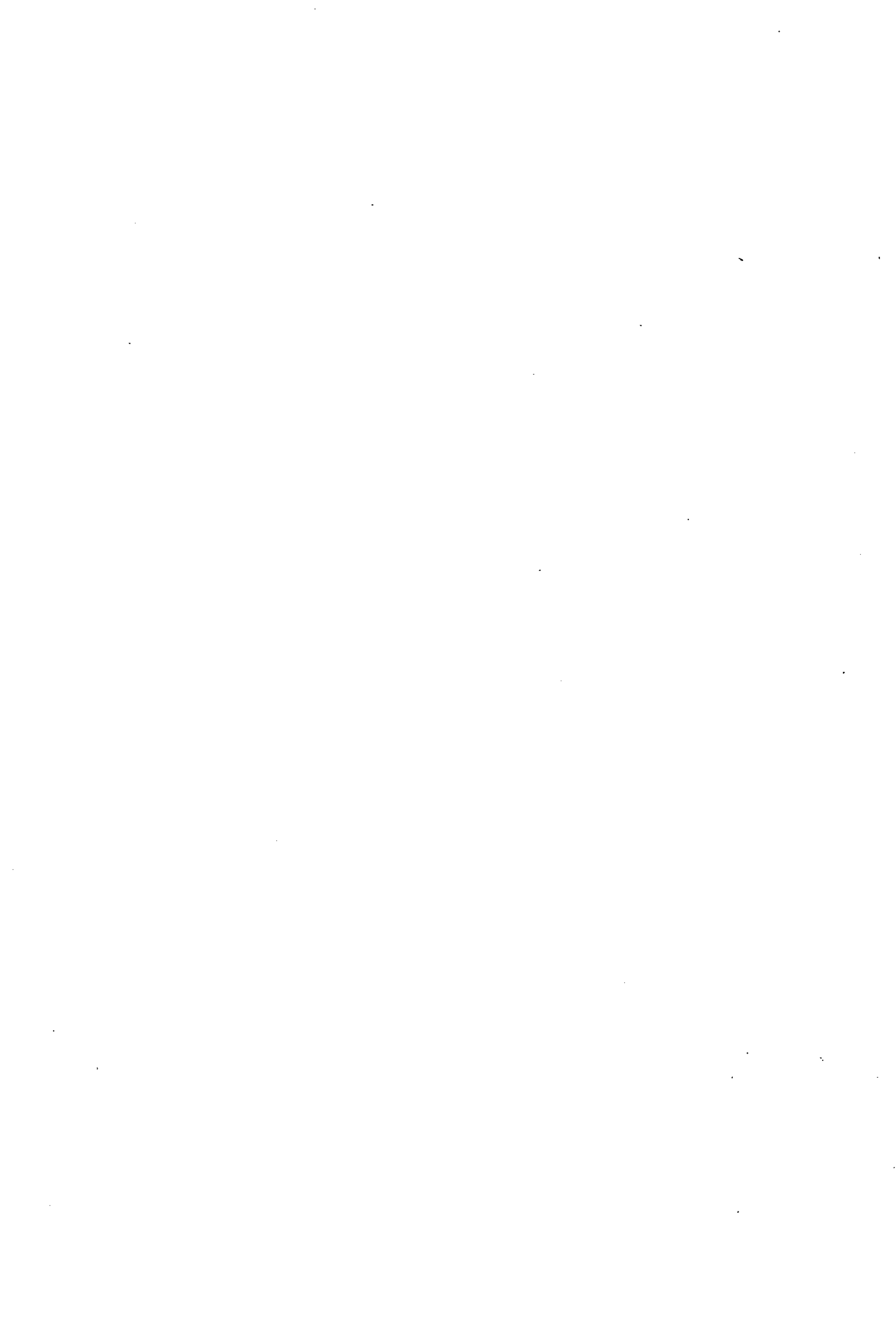
اســتيقظت مديحــة مــن غفوتهــا، وتذكــرت عبــد الهــادي مــرة أخــرى، هــذا الــشيء غريــب لا تفطنــه.. عبــد الهــادي لــه روح وأنفــاس ونبضــات قلــب كانــت تحــس بهــا، وهــي في أحضانــه، وتذكــرت أخــر مــرة مارســت الجنــس معــه، وقــد كان مفرطــاً في تعاطــي المخــدرات..

انهـال عليهـا ضربـاً مبرحـاً تـرك سـحجات عـلى جسـمها.. مـزق ملابسـها وشـدها مـن قدميهـا وجرجرهـا مـن غرفـة النـوم إلى الصالة، مـاراً بهـا حتـى البلكونـة.. شـدت مديحـة سـتار البلكونـة بأصابـع قدميهـا وبـرك عليهـا كالثـور الهائـج، وهـي تترجـاه بالعزيـز والغـالي أن يتركهـا وهـو لا يلقـي لكلامهـا أي اهتـمام.. ضجيـج سـماعات الصـوت للمحـلات في الشـارع وعبـق رائحـة الكفتـة والفراخ المشـوية والسـمك المقـلي كان يطفـي عـلى الجـو شـيئاً مبهجـاً ويوصلهـا إلى ذروة شـهوتها الجنسـية.

أيـام شـهر العسـل تتابعـت في ذاكرتهـا.. الشـقة التـي اسـتأجرها أسـبوعاً بالتـمام والكـمال مـن أحـد أصدقائـه بشـارع شـهر العسـل بالعجمـي.. طيلـة هـذا الأسـبوع لم يفصلهـما عـن الجنس سـوى تناول الوجبـات أو أوقـات النزهـة.. لم يشـفع لهـا البحـر وهـي في داخلـه مـا أن لمس جسـدها حتـى هاجـت غرائـزه، وانتحـى بهـا جانبـاً، وكانـت ترتـدي المايـوه الشرعـي، ممـا سـهل لـه مهمتـه بالاختبـاء في داخلـه.

رائحـة السـجائر التـي كانـت تفـوح مـن فمـه وتنهيداتـه، وهـو يمتطيهـا ورفعـه لهـا إلى أعـلى وهبدهـا بقـوة عـلى فخذيـه وتقليبهـا عـلى شـتى المواضـع، وآثـار أسـنانه عـلى نهديهـا كل هـذا كان شـيئاً ممتعـاً لهـا، فـما مـن مـرة انتهـت شـهوته إلا وأحسـت بأنهـا كانـت في عـالم آخـر بخـلاف هـذا العـالم.. غرقـت حتـى الثمالـة في لـذة جميلـة وفي متعـة غارقـة غمـرت جميـع أعضائهـا فأنسـتها كل شيء.

أرقـدت الموديـل مـرة ثانيـة عـلى نفـس وضعـه الأول، وفتحـت البـاب وحمـدت الله عـلى سـلامة صـلاح.



روكي

«٤»



فكـر صـلاح ملياً كيـف لـه أن يقنـع نرجـس بقبـول معايشـة «روكـي» وهـو طيلـة حياتـه لم يكلمها سـوى مـرات معـدودات، وكان معظمهـا بخصـوص الـدواء.. نرجـس منزويـة ومنعزلـة عـن النـاس، وليـس لهـا أصدقـاء لهـم صلـة بـه ولا أقـارب تعـرف عليهـم.. الحيلـة الوحيـدة التـي مـن خلالهـا يسـتطيع الوصـول إليهـا هـي منـى.

وعـلى الفـور هاتفهـا واتفقـا عـلى الموعـد، والميعـاد كان يـوم الاثنـين في السـاعة الثالثـة عـصرا أمـام محطـة مـترو منشـية الصـدر، والحجـة الذهـاب للجامعـة لاسـتخراج مسـتخرج مـن شـهادة النجـاح.

في الـدور العلـوي لكافيتريـا الجامعـة انزويـا معـاً.. هاجـس منـى راح يئـن عليهـا مـن جديـد وحلمهـا ذهـب يراودهـا ويلـح عليهـا بـأن يصبـح صـلاح زوجـاً لهـا.. الحلـم يعبـث في مخيلتهـا ممثـلاً حالـة كـر وفـر، فـما مـن مـرة قابلتـه حتـى ظهـر ولاح أمامهـا فسـتان زفافهـا وكوشـة فرحهـا وبهجـة عرسـها؛ لـذا تضايقـت عندمـا فاتحهـا صـلاح في الأمـر فهبـت فيـه صائحـة:-

- مـاذا تقـول؟ هـل تـرضى ذلـك لأختـك؟ وهـل وصـل بـك الأمـر أن تصبـح قـواداً بغيـض تجـري تجـارب قـذرة عـلى بنـات جيرانـك مقابـل المـال.

ضحك صلاح ضحكة خبيثة وشت عن مكر ولؤم وقال:-

- هذا الأمر فيه خدمة للبشرية عامة.

وقفت منى وقالت بضجر وحنق:-

- هـل أنـا بلهـاء حتـى أصـدق ألاعيبـك الخبيثـة، أسـتودعك الله يـا أمكـر خلـق الله.

جذبهـا مـن سـاعدها وأعادهـا إلى مقعدهـا، ونظـر إليهـا بتعجـب وقـال:-

- هـذه المهمـة سـيكون لـك نصيـب وافـر مـن المـال فيهـا، لمـاذا تسـتخسرين هـذا في نفسـك.. الحيـاة فـرص، هنـاك أنـاس ينتهزونهـا وأنـاس لا يسـتحقونها.

أخـرج صـلاح عـشرة آلاف دولار وضعهـا أمامهـا.. أدامـت منـى النظـر إلى حزمـة النقـود، وتمتمـت في داخلهـا بـأن هـذا المبلـغ يعـادل مـا تتقاضـه في سـتة أعـوام عمـل في صيدليـة الدكتـور عبـد الله.. توتـرت أعصابهـا وتلعثـم صوتهـا، وتذكـرت حالهـا وضيـق معيشـتها، وقالـت بصـوت متهـدج:-

- وهل نرجس ستوافق على هذا؟

- سـتوافق نرجـس لا تقلقـي مـن هـذا، وهـذه مهمتـك أنـت، وإني عـلى ثقـة في مقدرتـك عـلى إقناعهـا.

- نرجـس غـدت بالنسـبة لي بمثابـة الأخـت الكبـيرة، لطالمـا اكتنفتنـي بعطفهـا وحنانهـا وشـملتني بشـفقتها وواجبهـا معـي ديـن يطـوق رقبتـي.

- أنـا مقـدر ذلـك، ولكـن حـين تعلـم بـأن مـا سـتتقاضاه يبلـغ النصـف مليـون دولار سـتوافق، وإني عـلى يقـين مـن ذلـك.

أول مـا سـمعت منـى قيمـة المبلـغ الـذي سـتتقاضاه نرجـس حتـى لـوت شـفتيها وقالـت بغيـظ:

- لها نصف مليون دولار ولي أنا عشرة آلاف دولار.

ضحك صلاح ضحكة صاخبة وقال باستهزاء:-

- هذه فكة مصاريف يد لك ولا تقلقي، فلك أنتِ مائة ألف دولار ستقتطع من نصيبي في العملية.

داخلها شعور بالفرح الممزوج بالتوجس، وهى تجرى العملية الحسابية بمعادلة مجموع مبلغها بالقيمة الدولارية بما يعادله بقيمة العملة المصرية، وتراءت لها وصورة نرجس أمامها وهي تحصي النقود أخر الليل وتعطيه للدكتور عبد الله:-

- لا أظن أن تقبل نرجس ذلك، نرجس إنسانة متدينة ومحترمة وأنا استبعد قبولها هذا الأمر.

- «روكي» لعبة، ونحن نهذي وليس في الأمر ثمة شيء جد، ولا نريد منها سوى انطباعها عن هذه اللعبة، وما أكثر اللاعبين في حياتنا هذه.. أنا سألعب وأنت ستلعبين ونرجس ستلعب على الجميع، وضحت الصورة الآن يا حبيبتى.

دارت الأفكار في مخيلتها، وهي راجعة إلى مسكنها، كيف لها أن تقنع نرجس.. أفليس فى هذا مخاطرة لها فربما يتم طردها من الصيدلية هذا على أقل تقدير أو يبلغوا عنها الشرطة وستصبح حينئذ على قيد نزيلات سجن القناطر، الذى كانت تزور فيه خالتها آنفا.. فكرت وفكرت ثم توقفت عن التفكير على صوت سائق التوك توك يقول لها بأنه سيكتفي إلى هذا القدر من السير؛ فيبدو أن هناك مشاجرة أمام صيدلية الدكتور عبد الله.

***

المشاجرة لم تكن تخص الدكتور عبد الله، بل كانت بين أبناء الحاج بيومي صاحب محل الجزارة المواجه للصيدلية، والخلاف

على قدر نصيب كل واحد منهم في المحل.

غمغمت منى تقول: عراككم يا أبناء الحاج بيومي لا نهاية له.. جال في خاطرها محل جزارة الحاج بيومي واللافتة المعلقة على واجهته (محل للبيع بسعر ٤٠٠ ألف جنيه)، وذكرت حزن وتحسر نرجس وهي تشاهد اللافتة، فهي تتمنى أن تقتني المحل وتحويله لصيدلية وعلى واجهتها يافطة صيدلية الدكتورة نرجس.

***

منذ يومين كانت تحصي حصيلة مبيعات هذا اليوم.. المبلغ فاق توقعاتها بكثير.. من عائد الصيدلية اشترى الدكتور عبد الله فيللا بالشروق، بخلاف صيدلية بالزيتون وأخرى بعين شمس قريبة من جسر السويس، وشاليها براس سدر.. كل هذا من دخل هذه الصيدلية، التي غدت نرجس علامتها التجارية وشهرتها السوقية.

زوجة الدكتور عبد الله تكره نرجس،ـ ونرجس تحقد عليها، فهي نالت حلم حياتها، فلو افترضت نرجس موت الدكتور عبد الله، فزوجته على الفور ستبيع الصيدلية وتطردها شر طردة، وهي لا تظن أن زوجته سليلة الأسرة الارستقراطية سترتاد تلك المنطقة العشوائية.

لكم تتوق لتملك المحل.. ضحكت منى ضحكة خبيثة وسمعها محشور به سماعة الأذن وأغنية محمد فؤاد (الحب الحقيقي) تملأ أذنها ريثما تتجنب سماع التحرشات السمعية من المارين.. نازعها شعور جارف ضد المجتمع فصبت غضبها على الجميع، وقالت فى سرها بصوت يكاد يسمع: هذا مدخلك يا نرجس، هذا مدخلك يا نرجس.


روكي
«٥»



اختلت منى بنرجس، وهي تهم بغلق باب الصيدلية، وبصوت هامس يشوبه الحذر طرحت عليها العرض.. نظرت إليها نرجس بحنق أزاحتها من أمامها، وقالت لها لولا عشرة العمر للعنت ها بأقذع الشتائم.. أشارت إلى صلاح الذي يقف متسمراً أمام محل جزارة الحاج بيومي في مكانه تعلو فيه ابتسامة مسالمة ومتأبطا حقيبة سونسنايت بها مقدم العملية.. وعادت منى تقف بجوارها.. وبصوت خافت قالت لها: مع صلاح ١٠٠ ألف دولار هذا يكفي ويفيض من قيمة المبلغ المدون على اللافتة.. يرفع صلاح يده إلى أعلى، مشيراً إلى اللافتة ثم ما يلبث أن ينزلها إلى أسفل، مشيراً إلى الحقيبة.. أعادت نرجس النظر هي الأخرى إلى اللافتة والحقيبة وجال في خاطرها في بداية عملها مع الدكتور عبد الله وما تنامى إلى علمها من معلومات.. قال لها أحد المساعدين السابقين له، وبعض الأهالي القدامى بالمنطقة، بأن هذا الصيدلي كان يخبئ جدول عقاقير المواد المخدرة بركن خفي من الصيدلية، هذا الركن كان له مخزن فى بيته القديم بالمرج، يداري فيه المواد المخدرة، التي تستعمل في تركيبات بعض الأدوية، والتي تخص شفاء بعض الحالات المرضية.

قالوا إن منطقة الفلاحة كانت نائية ولم يكن بها نقطة شرطة ولا يوجد بها دوريات شرطية تجول بها مما سهل له مهمته، هذا الجدول الخاص بالعقاقير المخدرة جلب منه كنوز المال.. ولما علم من مرشد كان عميلاً مزدوجاً يقبض منه أخر كل شهر،

ويعطي معلومات خاطئة لوحدة البحث الجنائي بقسم المرج بأن سيرته فاحت وأحد المدمنين فاق إلى وعيه، وأقلع عن التعاطي جرسّه في المرج والخصوص ،أغلق صفحات الجدول وتخلص من المخزن والعقاقير واكتفى إلى هذا الحد من البيع.

تمتمت نرجس تقول بأن الدكتور عبد الله وغيره سلكوا طريق الاعوجاج، ولم يبالوا بشيء.. الكل في هذه الدنيا يعيش في أدوار تمثيلية في الشرف والنزاهة، وفي داخله غير ذلك إنسان قذر و حقير لو باستطاعته أن ينال كل شيء ما تردد عن ذلك.

العرض المقدم لها، لا ثمة سرقة أو نهب أو احتيال فيه، فلماذا ترفضه.. أليس في هذا ظلم لنفسها.. ألا يكفى قسوة وظلم المجتمع لها حتى تظلم هى نفسها.. على أية حال هي ستدخر مبلغاً لنفسها من صيدليتها الجديدة، تهبه إلى نقيب السيدة زينب يحسن به على الفقراء.. اقبلي يا نرجس.. اقبلي يا نرجس ولا تترددي.

أعادت النظر إلى صلاح وحلمها الوردي ما زال عالقاً في مخيلتها؛ فابتسمت، فاندفع إليها صلاح فرحا، وأسند أمامها حقيبة النقود، ومن خلفها منى تربت على كتفها، أشار صلاح إلى أدراج الدواء، وقال بأن فى هذا الدواء علاج للأمراض وفى عمليتنا هذه أيضا علاج للبشرية.. أنت هنا تقدم ما يخفف من وطأة ألم المرض، وفى روكى أيضا علاج لداء العوانس.

***

أحضر صلاح جوال دقيق فارغ، وألبسه في «روكي» وجوالا آخر ملأه دقيقاً على نفس وزن «روكي».. نال ذلك إعجاب الجيران المطلين من شرفاتهم والمتواجدين أمام بيوتهم.. نياتهم

السليمة قالت لهم بأن هذا نبل من صلاح وعمل خير اكتسبه من عمله الجديد، وهو الآن يرد جميل أهل حيه، وفي نفس الوقت خرجت منى من شقتها الكائنة بالدور الأرضي.. أومأ لها صلاح بالجوال المخبأ فيه «روكي» لتحمله بعناية.

لم يكن بالشقة سواها.. أخرج صلاح «روكي» من الجوال وأخرجت منى من الجوال الآخر الدقيق وأفرغته في طبق بلاستيك كبير تستخدمه أمها في غسل الملابس.. ارتاب صلاح من سوء حالة «روكي» في الجوال، فربما حدث له عطل فني؛ فأخرجه منه، ونظفه ولمعه كحالته السابقة، وأشغله وأفهم منى طريقة فتحه وقفله ووظيفة كل زر في الريموت.

أرقدت منى «روكي» على سريرها، وألقت عليه غطاءها؛ فشقتها لا يوجد فيها مكان غير هذا تستطيع إخفاءه فيه.. شقتها على خلفية واجهة البيت التي يشغلها محلان ولا يوجد بالشقة سوى غرفة واحدة مطلة على المنور ينحشران فيها هي وأمها، ينامان على سرير وأخواها يرقدان على السرير الآخر.

حضرت أمها وأعقبها أخواها ولم يلاحظوا شيئاً، فى أخر الليل وتحت الغطاء التصقت منى بـ»روكي» المسجى بجوار الحائط.. أعطت منى ظهرها لأمها واطمأنت لما علمت بأنها نامت.

التحمت منى بـ»روكي» بامتزاج شديد ريثما لا يأخذ «روكي» حيزا على ما هو معتاد لحيزها على السرير وحتى لا يلفت انتباه والدتها.. تحت الغطاء أسدلت الظلمة ستائرها، والكائن الملتصق بها لا ثمة روح ولا مشاعر به.. أضاءت هاتفها فبان وجه «روكي».. كم أنت جميل يا «روكي»؟ أبدعوا في تصميمك وتفننوا في تقسيمات وجهك وجعلوك لوحة فنية رائعة في الجمال..

شعرت منى بدفء في الغطاء أحمى جسمها؛ فأحست بالانتعاش على الرغم أن برودة شهر طوبة تلقي بظلالها على جسدها.

كم تتوق منى لرجل تتكئ عليه في وجعها وتشكو إليه همها وفي أخر الليل ترتمي في حضنه.. وتعجبت فى داخلها أيكون روكى رجلها.

لثمت شفتيه برقة؛ فبادلها بنهم شفتها السفلى وراح «روكي» يتحسس جسدها ويضغط بيده على مواضع مثيرة جنسياً للمرأة.. أحست بقشعريرة والقشعريرة تحولت إلى لذة واللذة غمرتها عن آخرها.. زاغت حدقتها، ثم ما لبث أن انهال عليها بالقبل العنيفة على وجنتيها وشفتيها، من فرط ظمئها ذابت مثلما تذوب قطعة الثلج في كوب العصير.

فاقت منى فأحست بسائل بين فخذيها.. فى بادئ الأمر خمنت بأن هذا الشيء اللزج الذي ينزل بعد الاحتلام.. إلا أن رائحة السائل هذه المرة مختلفة ومقززة.. أزاحت الغطاء وذهبت إلى المرحاض.. حملقت النظر وعادت وفركت عينيها وعادت جاحظة النظر مرة أخرى، لعلها ما زالت في الحلم ولم تستيقظ منه بعد.. هالها ما رأت وصعقها ما على فخذيها من دم.. «روكي» فض غشاء بكارتها وأفقدها عذريتها، استعرت بطنها ألماً، وارتعدت أوصالها، وانقبضت عضلات وجهها وانكمشت عيناها حتى صارت كحبات السمسم من فرط صغرهن.. راحت في نشيج حار يصحبه نوبات من البكاء الهستيري المكبوت.. ارتعشت أعصابها وقرقعت أسنانها من فرط احتدام بكائها وانطباق فكيها.

استجمعت قوتها وربطت جأشها وهدأت أعصابها، رشت على جسدها الماء البارد، وغسلت ملابسها الداخلية وعادت إلى

مرقدهـا؛ فأحدثـت صوتـاً أيقظـت أمهـا عـلى إثـره، فأحسـت بالمـاء البـارد عـلى ظهرهـا، فتحسـرت عليهـا ودعـت الله أن يريهـا حمـام ليلـة زفافهـا.

طيلـة الليـل لم تـذق النـوم وهـي تفكـر في مصيبتهـا.. يـا صـلاح يـا لعـين تسـول لـك نفسـك وتقـترف في حقـي ذلـك الجـرم.. لا يسـلم الـشرف الرفيـع مـن الأذى حتـى يـراق عـلى جوانبـه الـدم.. الثـأر والثـأر لا شيء سـواه.

***

في الصبـاح ومـع صيـاح الديكـة، تسـحبت إلى مرقـد أخيهـا وسـحبت مـن تحـت مخدتـه خنجـرا عمانيـا مثقوبـا جنباتـه حتـى يسـهل إيلاجـه في مـن يعاركـه ويسـهل تقطيعـه، فأخوهـا كثـير المشـاجرات وأصبـح لـه أعـداء في كل شـارع وعطفـة حـارة ولا يخـرج مـن بيتـه إلا وهـذا الخنجـر في جيـب بنطلونـه الخلفـي.

هاتفـت صـلاح وقالـت لـه بـأن هنـاك شـيئا جـد وتريـده عاجـلاً الآن.. وقالـت لـه بأنهـا سـتفتح البـاب ويصعـدا إلى سـطح المنـزل لأخـذ حريتهـما في الـكلام.

في نفـس الجـوال الـذي أحـضر فيـه صـلاح «روكـي» سـتقطعه إربـاً إربـاً.. أشـلاؤه سـتوزع عـلى أشـهر مقالـب زبالـة القاهـرة، سـتجعله عـبرة لمـن يعتـبر.. صـلاح سـيكون نجـم السوشـيل ميديـا وصـوره ستسـطع في صفحـات الحـوادث وسـيكون مـادة إعلاميـة شـيقة يشـغف النـاس بمشـاهدتها في الفضائيـات.

هـل تقـدر منـى بإغـراء صـلاح وهـى طيلـة الليـل لم يغمـض لهـا جفـن، وهـل باسـتطاعتها إثـارة صـلاح جنسـيا ريثـما يسـلم لهـا نفسـه وتمـزق أشـلاءه وعيونهـا مـازال يتطايـر منهـا الـشرر.

ضحكت ضحكة خبيثة لم تخل على صلاح، وأشارت له إلى الغرفة المبنية خصيصاً لفرن العيش.. أضاءت الغرفة ونزعت طرحتها واسترسل شعرها على رسغيها، ومالت بظهرها على الفرن بإيحاءات جنسية.

ودعت صلاح وقالت له هيت لك.. تسمر صلاح في مكانه وساوره الشكوك في الحاصل أمامه..وتقدمت هي ناحيته وأعطته قبلة خفيفة في شفتيه، وهي تخرج الخنجر من جيب عباءتها.. رجع صلاح خطوتين إلى الخلف آخذا حذره.. انقض على مقبض يدها ونزع الخنجر منها وأزاحها من أمامه.. ناولها الصفعات والشتائم؛ فارتمت على الفرن باكية.

حكت له ما حصل ليلة الأمس.. ضحك صلاح ضحكة صاخبة وضمها إليه ضمة خفيفة.. وبنبرة حانية، اعتذر لها عن هذا اللبس الذي حدث وأفهمها بأن هذا ليس بدم، بل هو سائل ذي لون أحمر يوهم الفتاة بأنها في ليلة زفافها وعريسها فض غشاء بكارتها، وهذا يحدث فقط في أول مرة إستخدام للدمية الجنسية، وتأسف لها بأنه نسي أن يخبرها بذلك.. قال لها سبق وقلنا نحن بصدد لعبة وليس في الأمر ثمة شيء جد.. ضحكت منى فرحة وضربت صلاح على صدره، وقالت له هذه لعبة سخيفة كادت أن تقتلني وتقتلك وإن كان هذا هو اللعب عليك أن تقول لي ما هو الشيء الجد عندك.


روكي
«٦»



وفقاً لما أعدّ صلاح، نسقت نرجس مواعيدها ورتبت حالها.. أمها الآن موجودة بالعجمي عند أخيها الموظف بميناء الدخيلة.

في هذه المرة كان «روكي» مندساً داخل كرتونة مستلزمات طبية كبيرة مقواه ومبطن جانبيها بالإسفنج.. تلقفت منى الكرتونة من صلاح من على بسطة السلم، وارتقت بها الدرجات، وعلى الفور تناولت نرجس الكرتونة منها ووضعتها بالصالة وجلست منى في صالون الاستقبال.. نظرت إليها منى مليا، ثم ابتسمت وقامت وأخرجت روكى من الكرتونة.. قالت بأن روكى هذا سيجلب الخير لنا.. هذه الدمية هى خبزتنا فى الحياة، فواجبا المحافظة عليه.. طلبت منها أن تنمى خيالها وتنعشه حتى تحبك خديعتها، ويكون تقريرها عبارة عن سيناريو فيلم واقعى محكم التفاصيل.. ظهر على نرجس الارتباك والقلق.. طمأنتها منى بأن كل هذا لا ضرر منه بل سيعود بالنفع على البشرية.. وشرحت لها طريقة تشغيله وأنظمة عمله وكيفية برمجته.

أجلست نرجس «روكي» في صالون الاستقبال، وجلست أمامه.. ابتسم لها ابتسامة بلهاء توحي بالسخرية أكثر من الترحاب.. ألقى عليها تحية نمطية لم تشعر ناحيتها بالمودة والألفة.. لوت شفتيها باستنكار، وتذكرت صلاح وهو يقول لها بأنه سيكون خير جليس ونيس تأنس له في وحدتها.

تذكرت منى وهي تشرح كتالوج تشغيله ومكونات ومساحات ذاكرته.. أخرجت الكتالوج وفتحت برنامج الطهي وأعطته أمراً بعمل كوب من الشاي؛ فمشى بخطوات منتظمة تشبه خطوات

جنـد الحراسـة في دوريـة حراسـته الليليـة، وهـي توجهـه بالريمـوت ناحيـة المطبـخ.

تشـابه الأمـر لديـه فبـدلاً مـن أن يسـكب السـكر في الـبراد سـكب الملـح.. أفرغـت نرجـس الـبراد مـن الملـح وعـاد هـو إلى سـكب السـكر، ثـم أعقبـه الشـاي فالمـاء.. غـلى الشـاي؛ فصـب كوبـاً وقدمـه لنرجـس.. فرحـت وصفقـت صفقتـين تشـجيعاً لـه.

مـن أول رشـفة لم تسـتثغ نرجـس مـذاق الشـاي.. «روكـي» قلـب الشـاي بطريقـة أفقدتـه نكهتـه.. التمسـت لـه العـذر فدائـماً البدايـات تحـدث لهـا أخطـاء، وهـذا الخطـأ الأول، وعليهـا مسـامحته.

فتحـت نرجـس الثلاجـة وأحـضرت الجبـن والبيـض والفـول والمربـى ووجهتـه لإعـداد الفطـار، فجهـز لهـا بطريقـة أدهشـتها مـن فتـح علبـة المربـى وسـلق البيـض ورج الفـول وخلطـه بالتوابـل وعـصر الليمـون عليـه، إلا أنهـا لم تسـتطعم الطعـام واكتفـت بتنـاول القليـل منـه.. وأدركـت بـأن للبـشر أنفاسـاً تختلـط مـع الطعـام تضفـي عـلى الطعـام مذاقـاً واسـتمتاعاً في تناولـه.

تضايقـت وهـي تـراه أمامهـا يصطـدم بصـورة منظـر طبيعـي معلقـة عـلى الحائـط فتهـوي الصـورة عـلى الأرض؛ فتنشـطر نصفـين.. «روكـي» لا يقـدر عـلى فهـم الجـمال ولا يتـذوق معنـاه حتـى لـو أنهـم برمجـوه عـلى ذلـك، فالجـمال شيء حسـي يطـري الـروح ويبهجهـا، أمـا الـذي أمامهـا فهـو دميـه منزوعـة الـروح والإحسـاس لا فـرق بينـه وبـين قطـع الأثـاث المتواجـدة في شـقتها.

***

سـاعة بالكـمال والتـمام وهـي جالسـة قبالتـه تعطيـه الأوامـر، وهـو ينفذهـا بتلقائيـة مملـة.. تذكـرت صـلاح وهـو يقـول لهـا بـأن

«روكي» لعبة.. فقالت لنفسها فلنجرب معه اللعب وأسلي نفسي وأشغل به وقتي.. شاركته لعبة الشطرنج.. «روكي» يحرك قطع الشطرنج بطريقة محفوظة حتى إن كل توقعاتها تكون في محلها في تحريكه لقطع الشطرنج.

أغانيه المسجلة في كارت ذاكرته لا تطرب ونكاته سمجة لا تضحك وأقواله وأفعاله مكررة غير مرغوب فيها سئمت منها.

نما إلى سمعها صوت وقوع شيء في المطبخ؛ فأرهبها مما جعلها تقدم خطوة وتؤخر الأخرى فإذا بالصوت صوت قطة أوقعت إناء الطهي.. هل في إمكان «روكي» إعطاءها أشد ما تحتاجه الأنثى وهو الأمان؟ وهل في إمكانه مطاردة لص والقبض عليه وتسليمه إلى قسم الشرطة وسماع أقواله في النيابة؟.

وفي آخر الليل أبت أن تبيت بجوار «روكي»، فهي لن تبيت إلا في حضن زوجها المقدر لها عند خالقها ولا تقلع ثيابها إلا للشخص المكتوب لها في أوراق صحفها الأولى.

وهي مستلقية فكرت كثيراً، وتذكرت صلاح ومحل الحاج بيومي الذي أبرمت عقد تملكه عصر الأمس، وذكرت شيخها الحاج عطا الله وعهدها معه بأن تصدقه القول وتفصح له عن ما جرى لها طيلة غيابها عنه.. وذكرت ورده وحضرته وحلقة ذكره وسعادتها عندما تراه.. وتذكرت الطاهرة عقيلة بني هاشم وابتسامتها العطرة لها ونصيحتها لها بالصبر.

تكومت الذكريات حتى صارت مثل جبل من الرمال ينزاح ويهيل عليها، وهي لا تقدر على صده.. ذكرى جلساتها مع والديها وتعليمهما الحق والخير والعدل والمنطق.. ذكرى قطع المطالعة التي كانت تستذكرها عن الخلق القويم وموضوعات

الإنشاء عن القيم الفاضلة.. معلميها وفصول دراستها ومدرجات محاضراتها وأقاربها وسلوكهم النبيل.

راحت الذكريات تهيج عليها.. ذكرى تعقبها ذكرى أخرى، تسحقها سحقاً وتمحقها محقاً.. تفصد العرق من وجهها وسالت دموعها.. استعاذت بالله من هذا المكروه وخطر في خاطرها بأن تصحب في غدها «روكي» بعدما تكون قد ألبسته الجلباب الأبيض ووشحته بالطاقية البيضاء وأنعلته بالحذاء الأسود اللامع ووضعت مصحف يد صغير في جيب جلبابه، وعلقت المسبحة في يده، تسعد به أحباءها الأطفال وتفصح لشيخها عمّا حدث لها طيلة غيابها عنه.


روكي
«٧»



بالتأكيد شيخها سيلتمس لها العذر ويسامحها فهو إنسان خير وطيب ولا توجد ثمة ضغينة لأحد في داخله. وفي مرة سمعته يقول جملة أدهشتها وأعجبتها في نفس الوقت (الانتقام لغة الأغبياء).

اليوم لن تخجل من أحد.. ستُخرِج «روكي» في الهواء الطلق والجميع سيتعرف عليه وتشهر بالحقراء الملاعين، لاعقي المال.. أجلسته بجوارها على المقعد الخلفي لسائق التاكسي الذي أكثر من أسئلته عنه وأفرط في لغطه وثرثرته طيلة سير السيارة.

بدا «روكي» جميلا وهو يرتدي الجلباب الأبيض ومتشحاً الطاقية البيضاء والمسبحة متدلية من يده.. نزلت نرجس من السيارة قابضة على يده، وهي تأخذ كيس الحلوى قال صاحب المحل متمتماً في سره: ما أجملك يا نرجس أحضرت عروسة على هيئة شيخ صوفي لتفرحي الأطفال، من أول وهلة حينما رآها الأطفال جروا نحوها، فرحين بها وبضيفها الكريم وصائحين: نرجس نرجس نرجس. التف حول «روكي» الأطفال.. منهم من تأبطه ومن تعلق على رسغيه وآخرون صافحوه واتبعوه حتى وصل المسجد وراحوا يسألوا نرجس مازحين هل له أولاد صغار مثلنا كي نلعب معهم.

في المقصورة وأمام الضريح.. أصوات الذاكرين ومرتلي القرآن، ومادحي النبي، وطالبي البركة من أم هاشم والروحانيات العطرة وعبق رائحة المكان أبهجت «روكي» وظهرت على وجهه ابتسامة

مشرقة وشت على استشراقها للمستقبل، أعقبها تصفيق وتهليل وتكبير، أخرج «روكي» المصحف ورفعه إلى أعلى وراح يتمايل ويهتز ويدور حول نفسه، كما يدور راقص المولوية الشهيرة.. النسوة أطلقن الزغاريد والأناشيد وأحاطوه مسرورين به.. أصواتهن رجت ساحة مسجد أم العواجز.

سعد المريدون والمحبون ودراويش السيدة ولم يسأل أحد عن ماهيته ولا عن دولة نشأته ولا عن تكنولوجيا تصنيعه، ولا عن سبب إتيانه أو الغرض من ابتكاره إلا أنهم قالوا: هو ذاكر لله ومحب للسيدة الطاهرة بطلة كربلاء ولآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

نما إلى علم المصلين نبأ «روكي»، فاصطحبوه إلى صحن الجامع وصلى معهم صلاة العصر، وانضم إلى إحدى حلقات الذكر.. اندمج مع الذاكرين قرأ وردهم ورتل حزبهم وردد خلف شيخهم القرآن والدعاء والاستغفار ووقف متأبطاً ذراع أحدهم متمايلاً معهم، وغنى بحضرتهم ومردداً ذكرهم باسم الله المفرد.

ذاع خبر «روكي» بالمنطقة؛ فتجمع زخم كبير من الأهالي فأخرجوه إلى خارج المسجد وطافوا به ميدان السيدة زينب.. أصحاب المحلات ألقوا عليه الحلوى ترحيباً بقدومه وأصحاب المطاعم قدموا له الوجبات تكريماً له.

دراويش السيدة أقاموا له ما يشبه المولد البسيط من نصب خيمة صغيرة أمامها أرجوحتان، وأداروا سماعات مكبرات الصوت التي صدحت في المكان على مدح شيخ المادحين ياسين التهامي، وعلى إنشاد الشيخ العطواني وترتيله آبيات البُردة الشهيرة التى نظم أبياتها الشيخ البوصيري.

أقطـاب ومشـايخ الطـرق الصوفيـة أحاطـوا بـ«روكـي»، مرحبـين بقدومـه وآخذيـن منـه بركاتـه.. شيء مذهـل «روكـي» فـرح بهـم وسُرّ لمجاورتهـم ومتأقلـم معهـم كأنـه يعرفهـم منـذ زمـن.

أثنـاء جلسـتهم أخـذ يُسـبح معهـم ويسـتغفر الله وينبـض قلبـه ذاكراً الله.. يحـدث حـركات مثـل أن يرفـع أصبـع يـده السـبابة إلى أعـلى رامـزاً لتوحيـد الله.. السـيارات تطلـق العنـان لأصـوات الكلكسـات والنسـاء تطـل مـن شرفاتهـن يطلقـن الزغاريـد التـي تضفـي عـلى الجـو بهجـة مـا بعدهـا بهجـة.

تسـاءل البعـض عـن هـذا الـذي يحـدث أمامهـم؛ فكانـت الإجابـة كل هـذا مـن بـركات الشـيخ «روكـي»، ولا أحـد في مقـدوره فهـم مـا يحـدث لهـذا الشـيخ كرامـات عصيـة عـلى الفهـم.

كانـت نرجـس تراقـب ذلـك، فتعجبـت كيـف لـه أن يتركهـا بهـذه السرعـة ويتعايـش مـع هـؤلاء الدراويـش والمريديـن والأنـاس الطيبين المحبـين للسـيدة زينـب.. وفرحـت مـن أعماقهـا كـم أنـت رائـع يـا «روكـي»؟. لقـد أحببتـك لحـب هـؤلاء النـاس الأنقيـاء لـك.

وفي غسـق هـذا اليـوم قـدم الشـيخ عطـاالله وعلـم مـا حـدث في النهـار وعـلى الفـور طلـب حضـور نرجـس.




روكي
«٨»



انتحى الشيخ عطا الله بنرجس جانباً.. اعترفت له نرجس بما جرى لها ورجته أن يسامحها ويقبل اعتذارها.. رمقها الشيخ بنظرة، تطاير الشرر منها وقال بحنق:-

- هل هذا عهدي معك؟

- معذرة يا شيخي لقد زين لي الشيطان المنكر وأنا انقدت خلفه بغباء.

- هذا عذر أقبح من ذنب.. يا نرجس هذه تجارة رخيصة وحقيرة بالغرائز التي تجلب الشهوة الحرام.. الإسلام الحنيف نهى عنهاوقال الله تعالى «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ».

طفرت دمعة من عينيها أثارت شفقته وقالت بنبرة حزينة:

- أنا استغفرت ربي تائبة له.

نظر إليها حانياً وبصوت مبحوح قال:-

- يا نرجس سبق وقلت لك اصبري، فالصبر أعلى درجات الإيمان «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ».

- سامحني يا شيخي وسأعدك بأن أعيد النقود و»روكي» إلى صلاح.

- الوثن هذا رجس من عمل الشيطان لن تعيديه إلى صلاح بل ستتخلصين منه إلى الأبد وتدفنيه بيديك.

-لقد تكلف تصنيعه الكثير من الدولارات وصلاح وقع على إيصال أمانة مدون به الملايين من الجنيهات، فإن لم أعده سيسجن صلاح؟.

حملق الشيخ النظر فيها، وقال بغلظة صوت وشت عن غضب وكره :-

- بل ستدفنينه يا نرجس، وبيديك وفي القبر الذي اخترتيه آنفاً.

توسط «روكي» هذه المرة الشيخ عطا الله ونرجس، وكانت الشمس قد دلكت عن كبد السماء، وولت إلى حالها.. سارت السيارة بطريق صلاح سالم ومنه انعطفت إلى مدافن الغفير، ثم صعدت المطلع غير المرصوف والمنتهي إلى بداية المدافن.. اعتذر لهم السائق بأنه سيكتفي بذلك القدر.

نزل الشيخ ثم أعقبته نرجس التي أنزلت «روكي» بدورها، متأبطة ذراعه وسارت خلف الشيخ.. الطريق مستقيم تحفه المقابر الممتدة بلا نهاية والظلام الدامس يلقي بظلاله الخانقة للأنفس البشرية، وصوت صليل الليل ونباح الكلاب الضالة وأنين نرجس المتوجعة وتسابيح الشيخ الذاكرة تسري كموسيقى روحانية تكتنفها عناية إلهية.. يلتف «روكي» جانباً ويدور ببصره في الفضاء الذي يرمز إلى النهاية الأبدية المؤدية إلى وجود خلودي.. ود «روكي» أن يقول: لماذا تدفنوني وأنا صُنعت بغية هدف نبيل وهو إسعاد البشرية وأنا صُممت وأتيت هنا لفرحة العوانس، وأكون شريكاً لهم يؤنس حياتهم البائسة ويملأها بالفرحة.. وتساءل في نفسه متعجبا إذا كنتم تريدون التخلص مني فأجيبوني فلماذا لم تتزوجهن ؟؟، ولماذا المجتمع الذكورى يلهث وراء الجميلات شاهيا ممارسة الجنس معهن، وتاركا متواضعات الجمال

لحالهـن البائـس؟؟.

***

صمـت القبـور المطبـق ولفحـات الهـواء المنعـش وحفيـف الأشـجار وشـهقات الشـيخ وزفراتـه النابضـة مـن قلبـه الله الله، تنـير ظلـمات الليـل الدامـس وتبعـث رسـائل بـأن لله حكـم وتقديـر في خلقـه لـو أدركـوا معانيـه لعظمـت قلوبهـم وعفـت أنفسـهم وهـدأت سرائرهـم واطمـأن حالهـم.

ولـج الشـيخ المقـبرة ونظـر إلى نرجـس وقـال بنـبرة حازمة وحاسـمة مشـيراً إلى القبر:-

- هيا يا نرجس احفري قبرك وادفني فيه هذا الرجس.

نظـرت إليـه بحـسرة وهـي تـضرب صدرهـا براحـة يديهـا وقالـت باسـتعطاف ورجـاء:-

- «روكـي» هـذا ليـس ملكـي وحـدى لى شركاء سـيغضبون مني لـو فعلـت ذلـك.. سـامحني يـا شـيخي واسـتحلفك بـالله بـأن تكـف عـن هـذا الأمـر الـذي سيسـبب لي مشـاكل لا حـصر لهـا ولا طاقـة لي عـلى تحملهـا.

- اسـمعي كلامـي ولا تماطـلي، في هـذا الفعـل نفـع لـك ولـكل النـاس هيـا احفـري القـبر.

انصاعـت لأمـره وجلسـت عـلى الأرض تغـرف الرمـال وتلقـي بهـا عـلى الجانـب.. تذكـرت حالهـا واغتمـت، وبـدا عليهـا الضيـق المصحـوب بالحـزن البالـغ.

إنـه لـشيء غريـب تأتيهـا همـة وقـوة وهـي تسـحب الرمـال وتلقـي بهـا إلى أعـلى.. نظـرت فوقهـا فـرأت الشـيخ ينظـر إليهـا مشـجعاً

ومثنياً على عزيمتها، ثم أدارت النظر إلى السماء وقالت: ربي إن هذا هو قدري وأنا مسلمة به وهذا هو مصيري في الحياة وأنا مؤمنة به.. رب اغفر لي ذنبي وامنحني الصبر واعفُ عن خطأ ما كنت عازمة عليه.

حجب السماء تنكشف والشمس تعود وتضيء والقمر يزداد تألقاً وهو يدور حولها والنجوم تتراقص والشهب والنيازك والرعد والبرق.. وجه كريمة الكريمات والطاهرة وبنت الأكرمين وحبيبة رسول الله عليه الصلاة والسلام يحجب فضاء الكون.. صوت الشيخ يعلو ويضج في المكان: يا لطيف يا كريم يا ودود، ست الحسن وعقيلة بني هاشم تبتسم لها ابتسامة تنتزع روحها نزعاً قوياً إلى عنان السماء وقالت: لقد كنت منذ قليل بجوار جدي خاتم المرسلين وصحبه الصديق وأبي كرم الله وجهه.. يبعثون لكِ السلام ويبشرونك لقد هدى الله بك رجلاً هداية ملأت السماء والأرض.. زوجك يأتيك يا نرجس من بلد ضرب بها جدي المصطفى المثل لبعد المسافة عن بلاد المسلمين.. زوجك ولد لك وخلق من أجلك، اسعدي يا نرجس بزوجك الجميل.. كتب الله لك أكثر من فرحة.. فرحة الهداية وفرحة الزواج وفرحة سعيك إلى الطريق المستقيم.. افرحي يا نرجس، افرحي يا نرجس.

***

أهالت الثرى على «روكي» وراحت تدب على القبر بقدميها كي تسويه بالأرض والشيخ في كنفها يسبح ويحمد ويكبر ويهلل بوحدانية الله، ونرجس تصفق وترقص وتغني ابتهاجاً لبشارة أم هاشم السيدة زينب.




روكي
«٩»



وبعـد أسـبوع، هاتـف صـلاح منـى قائـلاً لهـا بأنـه سـيأتي أخـر الليـل لمقابلـة نرجـس فالموعـد قـد حـان.. وبدورهـا سـألت منـى نرجس عـن «روكـي»؛ فقالـت لهـا بتـهكم بـأن «روكـي» الآن تحـت الثـرى ويغـدو في عـداد الأمـوات ونسيت أن تنـشر نعيـه في الجرائـد.

في التـو هاتفـت منـى صـلاح وأخبرتـه بـما جـرى لـ»روكي»فأغلـق الهاتـف في وجههـا وأتـى مسرعـاً وعلامـات الضيـق كأمـواج عاتيـة تبـدو عـلى وجهـه.

نظر صلاح إلى نرجس شذراً وبصوت عالٍ قال:-

- أين «روكي»؟

- كما قلت لمنى ،مات.

بقبضـة يـده طـرق صـلاح أحـد أرفـف الـدواء أحـدث دويـاً في الصيدليـة ثـم قـال:-

- إن لم تحـضري «روكـي» سـيكون هـذا اليـوم هـو أخـر يـوم في حياتـك.

رمقتـه بـدون اهتـمام، ثـم رنـت النظـر إلى منـى ولـوت شـفتيها باسـتنكار وقالـت:-

- أيهـا الحقـراء انصرفـوا الآن مـن أمامـي، وإلا أحـضرت لكـم الشرطـة.

انقـض عليهـا صـلاح مكيـلاً لهـا الصفعـات والتـي عـلى إثرهـا

صرخـت صرخـةٍ في ثناياهـا الاسـتغاثة والألم.. سـحبت منـى مـن أسـفل إحـدى الكراتـين المتواجـدة بركـن إعطـاء الحقـن بخاخـاً مخـدراً كانـت تركنـه للدفـاع عـن نفسـها مـن البلطجيـة ومتعاطـي المخـدرات، وفاجأتـه بالـرش عـلى وجهـه فسـقط مغشـياً عليـه..

تجمـع في داخـل الصيدليـة الكثـير مـن رواد مقهـى عـلي الأسـيوطي والعاملـين بمحـل الرخـام ومالكـي محـل الموبايـلات (فاتحـة خـير) المجاوريـن للصيدليـة.. بسرعـة بديهـة قالـت لهـم منـى إن صـلاح حـاول معاكسـتها بألفـاظ غـير لائقـة، فـكان هـذا جـزاءه.. رشـت نرجـس عـلى وجـه صـلاح قطـرات مـن العطـر فعـاد إلى وعيـه .

علمـت مديحـة بخـبر مشـاجرة صـلاح ومنـى في صيدليـة الدكتـور عبـد الله مـن أبنـاء الحـاج مصطفـى الفيومـي صاحـب الفـرن الفينـو الملاصـق لبيتهـم..وارتـدت إسـدالها واتشـحت بالحجـاب عـلى عجـل وأسرعـت في خطوهـا .

***

هدأتهـا منـى وقصـت عليهـا الحكايـة بـكل تفاصيلهـا الدقيقـة، تذكـرت مديحـة الدميـة الجنسـية التـي رأتهـا سـابقاً، فاحتقـرت صـلاح، وتذكـرت إيصـال الأمانـة فأشـفقت عليـه.. ضحكـت مديحـة ضحكـة صاخبـة أمـام الجمـع المكتـظ بهـم الصيدليـة وضمـت منـى إليهـا وقبلتهـا عـلى رأسـها، وقالـت إن أخاهـا صـلاح أخطـأ ونـال عقابـه وهـي تتأسـف لهـا.

انـصرف كل مـن في الصيدليـة.. أقفلـت منـى بـاب الصيدليـة وبعـد حـوار استمر لأكثـر مـن سـاعة كان اقـتراح مديحـة هـو الراجـح لهـم جميعـاً بـأن يذهبـوا في الحـال إلى مدافـن الغفـير بالدراسـة، يخرجـوا «روكـي» مـن القـبر، وكل مـن تقـاضى نقـودا يرجعهـا إلى صـلاح،

وهـو بـدوره يرجـع «روكـي» والنقـود إلى «يونـج لي» ويسـتلم إيصـال الأمانـة، عنـد هـذا الحـد تنقطـع علاقـة صـلاح بـ«يونـج لي» والباعـة الصينيـين وكل يذهـب إلى حـال سـبيله.

وقفـت نرجـس وصـلاح ومنـى ومديحـة في وسـط شـارع الترعـة السـلطوحية ريثـما تـأتي عربـة.. الوقـت تأخـر وبلـغ الثانيـة والنصـف صباحـاً.. مـترو الأنفـاق أغلـق أبوابـه وانتهـت أخـر مواعيـد رحلاتـه مـن حـوالي سـاعة ونصـف، والمنطقـة تنعـم الآن بالسـكون والنـوم العميـق.. لفـت انتباههـم قـدوم سـيارة أجـرة تاكـسي تقـترب منهـم.. تعجبـت مديحـة مـا هـذا الـذي يحـدث أمامـه.. صاحـب السـيارة عبـد الهـادي يشـير لهـم ويقـف في مواجهتهـم.




روكي
«١٠»



جلس صلاح في الكرسي المجاور لعبد الهادي، وتجنبت مديحة الجلوس خلف عبد الهادي ومنى توسطت نرجس ومديحة.. أدار صلاح ظهره لعبد الهادي وعندما حاول عبد الهادي الكلام معه بأن يسأله عن قبلة وصوله باءت محاولته بالفشل، فأجابته نرجس مدافن الغفير في الدراسة.

ولما سألهم مندهشاً عن سر ذلك وفي هذا الوقت بالذات، الكل آثر بأن لا يزيل غشاوة دهشته.

الوجوه كالحة ومغتمة والأنفس مكروبة والقلوب مهمومة وقلقة.. طيلة الطريق لم ينبس فم أحد بكلمة.. صلاح يفكر بجرم ما اقترفه وإيصال الأمانة المدون عليه توقيعه.. ومنى تحسرت على مصيرها التعس وقنعت بأن هذا هو قدرها وعليها الرضا والتسليم به.. نرجس ذكرت شيخها وردها الذي لم تقرأه عشية الليل فرتلته في سرها.. عبد الهادي ومديحة الاثنان فكرا في شيء واحد لا سواه هو بيتهما الذي انهار ومصير ابنيهما فهد وهدى.. الأسئلة المتبادلة بين عبد الهادي ومديحة شكلت حالة جدلية مثيرة للدهشة.. عبد الهادي يسأل في نفسه لماذا كانت تجري مديحة؟ وما الأمر الذي ألم بها حتى يجعلها تذهب إلى المدافن، وفي هذا الوقت بالذات؟ ومديحة تساءلت أيضاً من أين له بهذه السيارة؟.

أدار عبد الهادي كاسيت السيارة على أغنية أول لقاء بينهما (ساحراني)، فابتسمت وصور لقاءاتهما قبل الزواج تتابع في مخيلتها.. نرجس طلبت من عبد الهادي إغلاق الكاسيت وتشغيل الراديو على محطة القرآن الكريم.

ظلمة الليل الحالك وعطن رائحة الموت وأصوات الحشرات وعفن رائحة برك مياه المجاري الطافحة من مراحيض ساكني القبور، والتي تعبث بها الضفادع ونقيقها المقشعر للأبدان يضفي على جو المكان كآبة ما بعدها كآبة.. أوقفت نرجس عبد الهادي أمام المقبرة ووقفت نرجس فوق القبر وأشارت لصلاح قائلة بأن «روكي» يمكث هنا.

شمر عبد الهادي عن ساعديه من تلقاء نفسه، فليس من المروءة والشهامة التي اعتاد عليها أن يرى ذوى القربى في محنة وهو يقف مكتوف الأيدي فعاونهم في الحفر.. وبنفس الوقت تلقفت منى حفنات الرمال وكومتها على جانب آخر، أما نرجس فقد بدأت تقرأ الأدعية والاستغفار والأوراد راجية الله المغفرة والرحمة، ومديحة تشحذ الهمم وتشجعهم بالكلام المطيب لخواطرهم.

ظنهم خاب، فالقبر لا شيء فيه.. خرج صلاح من القبر وزعق بأعلى صوته في نرجس قائلاً والألم يجزع أوصاله ويمزق قفصه الصدري:-

- هل أنتِ متأكدة أنك دفنت «روكي» هنا؟.

- هذا القبر اخترته أنا من بين قبور أولياء الله الصالحين في هذه المقبرة، وأنا متأكدة من ذلك ولقد أتيت هنا أكثر من مرة.

انقض عليها صلاح راكلاً قدميها فوقعت نرجس على الأرض صارخة وقال بحنق شديد مشيراً إلى القبر:-

- هذا القبر سيكون مثواك الأخير.

أمسك عبد الهادي صلاح وأزاحه على الأرض فوقع بجوار نرجس قائلاً له: بأنه سيدفنه هو لو كرر ذلك ثانية، أما مديحة

ومني فقد جلسا بجوار نرجس للتخفيف عنها من نوبات البكاء الهستيري.

راحت نرجس تلطم خديها وتغرف الرمال وتقذف بها على وجهها.. أعطى عبد الهادي مديحة زجاجة مياه والتي أخذتها منه وغسلت بها وجه نرجس.

تذكرت نرجس حالها وقالت في نفسها: ربي طيلة العمر لم اقترف ذنباً لماذا يكون لي هذا المصير المؤلم.. ربي خذني بجوارك أنعم بالآخرة أطمع فيها بمغفرتك ورحمتك التي وسعت السماء والأرض.

تذكرت نرجس حفلات زفاف أقاربها وأصدقائها وفرحة الجميع وتحسرت على نفسها أن يكون هذا هو نصيبها من الحياة روبوت صناعي حقير، هذا الروبوت أغلى منها وأثمن من قيمتها.. هي في هذه الدنيا الحقيرة لا تساوي شيئاً ومن أجل ذلك ستدفن بدلاً من روكى إن لم تأت به.

قيمة نرجس الحقيقية ليست في هذه الدنيا الفانية قيمتها في آخرتها الخالدة حيث النقاء والطيبة والصدق والإخلاص، وقفت ونظرت إلى السماء طالبة الرحمة وروحها تنتزع منها فألقت نفسها داخل القبر المحفور وبيدها راحت تهيل عليها الرمال.

الكل تسمر في مكانه مثل شواهد القبور الواقفة بجوارهم فلا أحد يسعفها أو يقبض على يدها.. أحست نرجس بيد أخرى تأخذها إلى أعلى وتصعد بها من داخل القبر.

***

رئيسة الديوان وأم الشهداء السيدة زينب تقبلها على وجنتيها

وتشير إلى «روكي» كي تهدأ ويهدأ الجميع وقالت: جدي وصحبه الصديق وأبي كرم الله وجه يهديك السلام من برزخهم سعداء بك ويقدمون لك زوجك الذي منحه الله لك، إنساناً جميلاً وخلوقاً وراقٍ، أحب الإسلام فتتبع هداه واستظل بظله العظيم، هذا هو زوجك يا نرجس.

تقدم إليها «جين تاو» (مهندس ومصمم الروبوت «روكي») فقد أسلم وغير اسمه إلى أحمد روحي اسم مركب يطلي الحب له ولسيدنا محمد.

أوقفتها السيدة زينب على جنبشم تقدمت ناحية صلاح وأخذت بيده وأوقفته بجوار منى، وقالت لصلاح هذه هي زوجتكثم سارت ناحية مديحة وعبد الهادي وقالت لعبد الهادي: رد زوجتك مديحة لك الآن، ردها عبد الهادي إلى عصمته بعد أومأت مديحة بالموافقة.

***

صوت الشيخ عطاالله يدوي في المكان بكرمه وبلطفه، وأشارت السيدة زينب له بالوقوف على الجانب المقابل لهمثم أعقبه مستر «شين كيو» و»يونج لي» وقالت لـ»يونج لي» ومستر «شين كيو» بأن «روكي» لا مكان له هنا.

انصرف مستر «شين كيو» و»يونج لي» وبصحبتهما «روكي» ترافقهما الحسرة والندامة، وبقي صلاح وعروسه منى والزوجان العائدان عبد الهادي ومديحة.. نرجس تختلس النظر إلى زوجها السعيد بها «جين تاو» الذي أدام النظر إليها ويبادرها بابتسامة لا ثمة عطف ولا شفقة فيها؛ مما جعلها تكاد تطير فرحاً بذلك.. شكلوا دائرة في مركزها ومنتصفها الشيخ عطاالله وراحوا يدورون

حوله فرحين وراقصين والسيدة الطاهرة تصعد إلى السماء وتنظر إليهم بحنان وود وسعادة.



هوامش على التجربة



أخفـى «جـين تـاو» عـن صـلاح وجـود كامـيرا مثبتـة في عينـي «روكـي» بحجـم حبـة الخـرز صممـت خصيصـاً لهـذه التجربـة، هـذه الكامـيرا تبـث إشـارات إلى جهـاز الاسـتقبال الموجـود مـع «جـين تـاو» الـذي قـدم مـع «يونـج لي» و «روكـي» والـذي اختبـأ في مـكان مجهـول.

طيلـة التجربـة و»جـين تـاو» منكفـئ أمام شاشـة جهـاز الاسـتقبال، يشـاهد بشـغف مـا تبثـه الكامـيرات مـن أحـداث، أعجـب «جـين تـاو» وهـو يـرى مديحـة وهـي تنفـر مـن «روكـي»، وتأثـر لبكاء منـى وهـي ترثـي شرفهـا، وافتتـن بنبـذ نرجـس لـه.

أمـا أكثـر شيء أدهشـه هـو اندمـاج «روكـي» في حلقـة الذكـر الصـوفي وإحـداث حـركات منـه لم تكـن مبرمجـة فيـه مثـل التمايـل يمينـاً ويسـاراً مـع الذاكريـن لاسـم الله المفردوقيامـه وقعوده وسـجوده في الصـلاة وتحريـك خـرز المسـبحة عـلى عـدد تسـابيح الـوُرد.

لم يصمـم «جـين تـاو» في داخـل «روكـي» برنامـج سـماع القـرآن حتـى يرتـل معهـم ويـردد مـع المصلـين آمـين.. آمـين، هـذه الدميـة غـير مبرمجـةً عـلى مشـاركة المادحـين التصفيـق والاهتـزاز والإنشـاد معهـم أبيـات الـبُردة، كيـف لهـذا الروبـوت الصناعـي أن يرفـع رأسـه إلى السـماء بالدعـاء أو أن يطـرق رأسـه في الصـلاة إلى الأرض للخشـوع

أو أن تفيض عيناه بالدموع في آيات العذاب أو الفرح وهو يسمع «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ».

كان المهندس «جين تاو» قد قرأ كثيراً عن الإسلام إلا إنه لما قدم إلى مصر رأى أمامه نماذج بشرية ثرية بالإخلاص لله، أقوالهم تطابق أفعالهم.. قال لنفسه ما هذا الدين العظيم الذي يجعل الفرد يتفانى في ذاته ويرتقي بنفسه عن هذه الشهوانية الحقيرة؟ ويصفو مع ذاته ليسمو على تفاهات دنيوية فانية بمادياتها الزائلة.

وكان يشغله هاجس التفكير فى الحياة بعد الموت، وما يحدث بعد الموت، وقد قرأ فى الديانات السابقة عن الحياة بعد الموت، والبحث عن هذه الحقيقة الغائبة، وقد قرأ عنها فى الإسلام حيث كان يسأل نفسه عن الهدف من وجوده فى الحياة فقتنع بذلك من خلال ما قرأه.

ولما أتى مصر رأى أناساً يعبدون الله من خلال الصلاة التى يؤدونها فى كل مكان سواء فى بيوت الله (المساجد) أو على الطرقات، حيثما يأتي النداء لذلك ترددت عنه قناعات تامة بأن هذا الدين الحق وأن الله يعبد فى كل مكان وأن الله موجود فى كل زمان ومكان لدى المسلمين.

أحس «جين تاو» بأن نفسه تتوق إلى سمو أخلاقي وتطمئن إلى بعث إيماني وتبتهج للترتيل القرآني، كأنه قطعة حديد تنجذب نحو مغناطيس مثبت ناحيته.. انجذب «جين تاو» إلى الإسلام واعتنقه.. ذهب من تلقاء نفسه إلى الأزهر الشريف وأشهر إسلامه، ترقرقت الدموع فى عينيه، وهو يشير بالسبابة إلى أعلى

مـردداً (لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله).

بعـد عودتـه مـن الجامـع الأزهـر الشريـف، رأى نرجـس تدفـن «روكـي» وتنصـاع لأمـر الشـيخ عطـا الله.. أحبهـا لحبهـا لشـيخها.. نرجس قتلـت تجربتـه بضربـة قاضيـة.. بغـت أن تعيش عمرهـا بـدون أن تمـارس أدنـى حقوقهـا فى الحياةوتنازلـت عـن أسـمى مـا يحتاجـه الإنسـان في الدنيـا وهـو المـال مقابـل ألّا تغضـب خالقهـا منهـاكل حركـة فى نرجـس كانـت تـأسر «جـين تـاو» وتزيـده تعلقـاً بهـا.. أحـس بأنـه إن لم يتزوجهـا سـيعيش عمـره كلـه يشـعر وكأن شـيئاً ينقصـه ويعكـر صفـو حياتـه.

مسـتر «شـين كيـو» لم يمانـع ذلـك وقـال لـه إنـه أبـوه الروحـي الـذي تبنـاه وحبـذ موهبتـه وطيلـة عمـره وهـو يسـانده ولـه مطلـق الحريـة في اتخـاذ أي قـرار شـخصي يخصهوقـال إنـه سـيأتي إلى مـصر لزيارتهـا في غضـون أيـام.

فكـر صـلاح في منـى بجديةوصورتهـا وهـي تخرج الخنجـر وتشـهره ناحيتـه لطعنـه، باكيـة عـلى شرفهـا ظلـت عالقـة فى مخيلتهوتلـوح أمامه غاليـة الوقـت.. وقـال في نفسـه مـا ذنـب منـى حتـى نحاسـبها عـلى أخطـاء لم ترتكبهـا.

مشـهد انهيارهـا لفقـدان عذريتهـا جعلـه يوقـن بـأن هـذه الفتـاة أشرف فتـاة رأهـا في حياتـه.. اعـترف صـلاح في داخلـه بأنـه يحبهـا وحـزم قـراره بـأن يرتبـط بهـا ويتزوجهـا.

أمـا عبـد الهـادي، فقـد انصـاع لنصيحـة أقاربـه وابتعـد عـن صديـق السـوء فهـدوكان أقاربـه أتـوا لـه وحينـما شـاهدوه رأفـوا لحالـه وأخـذوه إلى مصحـة لعـلاج الإدمـان.. في داخـل المصحـة غـيروا دمـه الفاسـد بـدم سـليم وعالجـوا أعصابـه حتـى صـارت قويـة قـادرة عـلى

دحـر المخـدرات.. أقاربـه اشـتركوا في جمعيـة بتلـك النقـود اشـترى ذلـك التاكـسي، وعندمـا رأى مديحـة تجـري أمامـه جـرى خلفهـا وقلبه يتقطـع ألما ذاكـراً حبـه لهـا وأيامهـا الخـوالي معـه وإخلاصهـا لبيتهـما.. وعندمـا شـاهدها واقفـة تبحـث عـن عربـة ذهـب عـلى الفـور وأخـرج سـيارته مـن الجـراج.





من أيام العراكى..ثم مشاهدة من واقع النفق..وصولا إلى التجربة الصينية .. وهى الأعمال التى قرأتها للكاتب مصطفى عبد الباقى.. اصطفى الكاتب الواقعية إطارًا لأعماله..مع اختلاف الفضاء المكانى وتنوع الشخصيات والأحداث والقضايا الإنسانية الملحة للمصرى البسيط الذى تصطدم أبسط طموحاته بالواقع الرأسمالى المتوحش.

وفى هذه الرواية - التجربة الصينية - يستعين الراوى بالخيال العلمى الذى قد لا يصبح خيالا بعد عقود.. مما يعين على الكشف عن مبدئية شخصيات الرواية التى عادة ما ينجح الكاتب فى رسمها ويجعلك تعتقد أنك تعرفها... هذه الرواية تمثل المجتمع المصرى المعاصر.. وتكشف عن الخير فى شخصياته التى تمثل قاعدة الهرم الاجتماعى فى مصر فى ظل الطبقية المتفشية..إنها رواية مهمة تسلط الضوء على الواقع بدون تدخل من الراوى أو إطلاق أحكام أخلاقية منه..لنترك للقارئ التمييز .. وإن كانت لا تخلو من السخرية المرة.

أمينة زيدان




ISBN 978-977-6605-42-8
9 789776 605428